

# صفين الجديدة

دراسات حول معركة الرقة والموصل

د. آزاد أحمد علي

د. سريست نبي

د. عثمان علي

د. ماجد أنور عشقي

د. عايد المناع

د. عبدالله الشمري

فرحان المطر







# صفين الجديدة

دراسات حول معركتي الرقة والموصل






مركز رووداو للدراسات  
أواسط أيلول 2016

# صفين الجديدة

دراسات حول معركتي الرقة والموصل

د. ماجد أنور عشقي      د. عايد المناع      د. عبدالله الشمري  
د. آزاد أحمد علي      د. سربست نبي      د. عثمان علي  
فرحان المطر

مركز رووداو للدراسات  
Rudaw Research Center 

الطبعة الأولى - أربيل - كردستان العراق  
2716 كوردى - 2016 ميلادي  
ResearchCentre@rudaw.net  
العنوان - أربيل - إقليم كردستان العراق

جميع حقوق الطبع وأي نوع من أنواع الإقتباس محفوظة لمركز رووداو للدراسات

رقم التسجيل في المكتبة العامة في إقليم كردستان العراق ( 614 سنة 2016 )

طبع في مطبعة كردستان - السليمانية

## الفهرست

- 8 مقدمة: أمة ودولة جديدة ..... آكو محمد
- 12 صفين الجديدة ..... د.آزاد احمد علي
- 44 معركة الموصل والرقعة وانعكاساتها على مستقبل العراق وسوريا ..... د. ماجد أنور عشقي
- 59 الكورد وحلم الوطن القومي ..... د. عايد المناع
- 64 نظرة مستقبلية للإقليم السني في العراق (قراءة سعودية)..... د. عبدالله الشمري
- 79 مستقبل الكورد بعد معركتي موصل والرقعة ..... د.عثمان علي
- 98 الوضع في روزآفای كوردستان: التحديّات الجيوسياسية ..... د.سربست نبي
- 125 الرقعة وحلم التحرير ..... فرحان المطر



## مقدمة

# أمة ودولة جديدة

آكو محمد

المدير العام لشبكة رووداو الإعلامية

تتمر الصراعات الكبرى نتائج سياسية عظمى. فحرب إسقاط نظام صدام، حرب تنظيم القاعدة وشقيقاتها، انتفاضات الربيع العربي ثم حرب تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، نجمت عنها إفرزات كبيرة، كذلك ستنجم عنها نتائج أخرى أيضاً.

إحدى نتائج تلك الصراعات و الحروب، تكوُّن أمة مذهبية جديدة باسم «الأمة الشيعية»، وقد نشأت هذه الأمة بصورة حقيقية، لكنَّ بسبب بعض المصالح والحساسيات، فإنَّ أيَّ طرف لا يرغب في الحديث عنها أو إنهم يعتقدون أنها ظاهرة عرضية وقتية.

تعددت وكثرت خيوط «الأمة الشيعية» وخصوصياتها أكثر من السابق، كما أن تمايزها عن السنَّة كذلك ازداد بكثرة، حيث لا يشعر عربي شيعي إزاء عربي سُني بنفس درجة القرابة كما يشعر بها إزاء فارسيّ شيعي. وهذه حقيقة في ما يخصّ العراق، سوريا، البحرين، اليمن، السعودية، باكستان والبلدان الأخرى.

نشوء هذه الأمة ونموُّها أحدث صراعاً عظيماً في المنطقة، كما جلب اضطراباً سياسياً وجغرافياً جديداً، بحيث بات من الصعوبة جداً أن يخمد ذاك الصراع دون إنشاء خريطة جديدة في المنطقة. فالقسم الأعظم من تعقيدات هذه المنطقة هو بسبب اضطرابات هذه الأمة الجديدة واعتراض محيطها على نشوئها.

أخفقت حدود سايكس - بيكو ودولها في صياغة الهوية الوطنية. والآن حيث حدثت اضطرابات وصراعات داخلية بين معظم تلك الدول، حتى أن بقاء واستمرار كثير من تلك الدول بنفس حدودها الحالية و نظمها الإدارية الحالية بات صعباً جداً.

في القرن العشرين، كانت قضية كوردستان والقضية الفلسطينية أعظم قضايا المنطقة، وكانت كلتاهما قضيتين وطنيتين وقوميتين، كذلك كانت القضيتان مصدر عدم استقرار شديد، مع أن المسألة القومية كانت متميزة تاريخياً وكانت إلى حد ما ذات حدود محدّدة. ولكن الآن ظهرت المشكلة المذهبية بهذا الشكل الكبير في المنطقة، حيث باتت تُهمّش القضايا القومية في المنطقة والعالم أجمع. فالمشكلة المذهبية تسببت في اضطراب وصراع داخلي خطير جداً للدول وكذلك للمنطقة، وهذا الصراع ليس كالصراع القومي، صراع أمتين وجغرافيتين، بل إن الصراع المذهبي أدخل الصراعات إلى داخل المدن والأحياء. وفي وطنٍ يشهد صراعاً مذهبياً، يكون الاستقرار والمعيشة الهائنة والبقاء للسكان غاية في الصعوبة.

مشكلة تقسيم كوردستان واستعمارها، نقلت المنطقة من صراع إلى صراع آخر بين الدول حديثة المنشأ في المنطقة، بل بين دول المنطقة أيضاً، لكن صراع نشوء الأمة الجديدة «الأمة الشيعية» جعل المنطقة كلها تنخرط في صراع كبير. فالاضطراب والصراع الحاليان أوجدا بيئة مناسبة لنشوء التنظيمات التي تقضي على استقرار العالم كله، والمثال الأكثر بدياً للعيان هو نشوء تنظيم داعش. فقد كان السبب الرئيس لنشوء تنظيم داعش في العراق والشام هو الخلاف والصراع الشديد بين الشيعة والسنة.

أما نشوء «دولة كوردستان» حالياً في هذا الجزء من كوردستان الملحق بدولة العراق، فهو أفضل طريق لمنع توسع صراع تلك الأمة الجديدة «الأمة الشيعية» في هذه المنطقة. نشوء «دولة كوردستان» يوفر المنفذ والمُتنفّس لجميع السنة في المنطقة والعالم، كذلك يخلص «الأمة الشيعية» من صراع مديد متواصل.

وإن امتدت الدولة الجديدة «دولة كوردستان» حتى غربي كوردستان، حيث

كان من نتائج تقسيم سايكس - بيكو أن أُلحق هذا الجزء بسوريا، فإن مجال الاستقرار يزداد أكثر ويتضاعف. وبسهولة شديدة، ووفق اتفاقٍ في المنطقة، يمكن تبديد جميع مخاوف تركيا أيضاً في ما يخص غربي كردستان وبصورة عملية يمكنها الحصول على ضمانات كاملة.

نشوء هذه الدولة الجديدة، هو أمرٌ جيد جداً لفتح طريق جديد لنقل النفط والغاز إلى أوروبا، كما أنه في مصلحة دول الخليج بشكل خاص و يوفر خطأً سنياً كاملاً وذلك سوف يساهم في تقوية أواصر العلاقة بين سنة المنطقة. المصالح تكمن في الاتفاق والقبول بهذه التغييرات الحاصلة في المنطقة. فمن نتائج التقسيم الخاطئ لسايكس - بيكو، عدم توفير رؤيا لصياغة الهوية، وانعدام المساواة وظهور تمايز ثقافي واجتماعي عميق في الدول وبين دول سايكس - بيكو أيضاً، حيث تظلُّ هذه الخريطة، إن بقيت في المنطقة دون تغيير، تعمق مجال القتل والتدمير والتمييز.

وبسبب انعدام الاستقرار، فإن هذه المنطقة، إضافة إلى وجود وبيع كل هذه الثروات الطبيعية، لا تزال تعيش وضعاً سيئاً، الآن وبالاتفاق على عوامل فرض الاستقرار، يمكن بالاستفادة من الثروات وكسب الفرص، أن تؤمّن لنفسها مستقبلاً مضموناً وخالياً من الصراعات.

معركة الموصل والرقعة، كمعركتين عسكريتين، يمكن أن تجلبا معارك أخرى. ذكاء خبراء الحروب كانت في التفكير ووضع الخطط لما بعد الحروب. لكي لا تتكرر تلك الصراعات وذاك الدمار، ينبغي التفكير في الحلول الأساسية. فالباحثون المشاركون في هذا الكتاب يقدمون رؤى مختلفة بخصوص المشكلات، لكنهم جميعاً متفقون على أنه يجب النظر بعين واعية باحثة عن الحل إلى ما بعد معركتي الموصل والرقعة. والجميع يعلمون و كتبوا أن استقرار المنطقة يكمن في معالجة المشكلتين القومية والمذهبية، وهذا يتحقق بتقسيم جديد ونظام مناسب للمنطقة.

لا تتمثل قوة الدول في كبرها، بل إن قوة الدول تتمثل في الاستقرار والوحدة الاجتماعية وفي اقتصادٍ متطور. فشعوب الدول ذات الاقتصاد المتطور، تكون

متحدة وتمتلك انتماءً وطنياً متيناً، لكن التطور الاقتصادي، قبل كل شيء مرتبط  
بالاستقرار الداخلي.

## صقن الجديدة

د.آزاد أحمد علي

مدير مركز رووداو للدراسات

### 1 - رمزية الرقة في استحضار ثقافة الثأر والصراع على السلطة

لقد اندثر مجد الرقة العربي الاسلامي بعد المرحلة الأيوبية، إذ كانت قبلها عاصمة صيفية للخلافة العباسية، ثم اندثرت الرقة على الأرجح بعد الغزو المغولي وتغيّرت بنيتها الاجتماعية والسكانية، إذ ظلت طوال العهد العثماني شبه خالية من السكان حيناً وبلدة صغيرة حيناً آخر<sup>(1)</sup>. كما أشار معظم الرحالة الذين مرو بها على خلو مناطق محيط الرقة من السكان طوال عدة قرون، بل يعد بعض الدراسين من أبناء منطقة الفرات أن العمران الحالي يعود إلى الفترة الأخيرة من العهد العثماني، حيث كانت مناطق الجزيرة مراعي للقبائل العربية والكوردية الرحل<sup>(2)</sup>. لاحقاً وعلى الرغم من المحاولات العثمانية المتكررة لإحياءها كمركز حضري ذات دلالة ورمزية تاريخية من جهة ولضبط طريق التجارة وغزوات البدو من جهة أخرى، لجأت السلطة العثمانية

(1) - د. سهيل زكار وآخرون، الرقة درة الفرات، الرقة 1992، ص 264

(2) - عبدالقادر عياش، حضارة وادي الفرات، مدن فراتية، دمشق - 1989، ص.178. ولمزيد من التفاصيل حول تاريخ الجزيرة الفراتية الحضاري والعمراني، راجع كتابنا: أممات العمارة الطينية في الجزيرة الفراتية، دمشق 2010، خاصة الفصلين الرابع والخامس، من ص 129 حتى 298

إلى إتباع سياسة التوطين لزيادة الاستقرار في شمال بلاد الشام، فتوجهت أولاً للعصر التركي والتركمانى، فشجعت بعض القبائل التركمانية على الاستيطان في مناطق ريف الرقة وحلب بدءاً بعام 1691م. وكانت هذه السياسة من أوائل عمليات الإسكان الموجهة والقسرية لأسباب عسكرية وسياسية واجتماعية في المنطقة. فأصدرت لذلك فرامانات ونظمت ملكية الأرض وشرعت ونظمت العمل الزراعي، فحددت ضريبة الدولة من مجمل الإنتاج الزراعي بالثلث 30%. إلا أن هذه الخطط لم تنجح. ولم يتمكن التركمان من تحقيق الهدف المطلوب، سواء من ناحية التنمية الزراعية أو الاستقرار الأمني. إذ ضايقتهم القبائل العربية القادمة من الجنوب والضاغطة باتجاه الشمال، وذلك بسبب الطلب على الأرض والمراعي. فعاد عدد منهم إلى مناطقهم الأصلية، وفر قسم آخر بعيداً إلى الشمال، إلى مناطق الأناضول الغربي. وبناء على هذه النتائج المخيبة تم التوجه على الأرجح إلى سياسة الاعتماد على القبائل الكوردية الأكثر عدداً والمتواجدين في شمال بلاد الشام. فقد تم تشجيع أفخاذ بهاء الدينلي وجمال الدينلي، حسني وبيداني من القبيلة المليية الكوردية للإسكان في الرقة حوالي عام 1711م.<sup>(3)</sup>

وباتت الرقة طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منطقة نفوذ للحلف القبلي المليي<sup>(4)</sup>، وتوج هذه الهيمنة بتكليف زعيم القبائل المليية تيمور باشا أن يكون والياً على الرقة حوالي عام 1800<sup>(5)</sup>، لتوظيف قوة حلفه القبلي سياسياً ولدعم استقرار شمال بلاد الشام. وإستمر نفوذ الحلف القبلي المليي سائداً من الناحيتين السياسية والاجتماعية على الرقة ومناطقها شمال نهر الفرات حتى مجيء الفرنسيين، كما اندمجت قبائل وعوائل عديدة من الكورد المليية داخل

(3) - جنكيز أورهنولو، إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية. باللغة التركية، ترجمة: فاروق مصطفى. دمشق 2005، ص 78 - 103 - 134

(4) - وهو حلف مكون بشكل رئيس من ثلاث وثلاثين قبيلة أغلبها من الكورد فالعرب والتركمان. ولمزيد من التفاصيل راجع دراساتها: الدور السياسي لعائلة ابراهيم باشا المليي في غرب كوردستان وشمال بلاد الشام، ضمن منشورات المعهد الفرنسي لدراسات المشرق في حلب، أو في مجلة «الحوار» العدد 65 تشرين أول 2012 على الرابط: <http://www.yek-dem.com/?p=3595>

(5) - عبد القادر عياش، حضارة وادي الفرات، مدن فراتية. دمشق - 1989، ص 324

المجتمعات العربية في الرقة وريفها إذ كان: «يتوضع سكن عشيرة (الأكراد) في وسط مدينة الرقة إلى جوار عشيرة (البكري)، وما تزال مضافتهم عامرة منذ تأسيسها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى حينه، وتعتبر من كبرى عشائر مدينة الرقة، وهم من أوائل من سكن فيها بعد إعادة إعمارها في القرن التاسع عشر».<sup>(6)</sup>

ظلت الرقة مجرد قرية حتى مجيئ الفرنسيين حوالي عام 1920. أما المحاولة الأخيرة لإحياء دورها السياسي والإداري فكانت بعد حكم حزب البعث، إثر ترسخ بنية الدولة ما تحت الكولونيالية<sup>(7)</sup> التي عرفت «بالحكم أو الدولة الوطنية» في سورية والتي اعتمدت الأيديولوجية القومية العربية عصبية وعصبا لها، فإنطلقت من فكرة تأسيس مركز محافظة فيها، سميت في البدء بالرشيد (نسبة إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد)، في سياق سياسة واضحة لطبعتها بطابع عربي إسلامي حصري، ولتتوهج من جديد تحت ظلال الذكريات التاريخية للمدينة، إلا أن تم تثبيت اسم محافظة (الرقة). تحولت البلدة فعليا إلى مدينة أواخر الستينات من القرن العشرين، بعد البدء في مشروع بناء سد الفرات بمساعدة سوفيتية، فاستقدمت إليها عوائل العمال من كل أنحاء سورية، كما استصلحت فيها الأراضي لتوزع على قسم من الفلاحين، ولتنقل قسم منهم إلى محافظة الحسكة، بهدف توطينهم على الشريط الشمالي للمحافظة، ضمن مشروع الحزام الأخضر المعروف ب (الحزام العربي).<sup>(8)</sup>

الحلقات المتسلسلة من تاريخ الرقة الاجتماعي والسياسي تفصح عن أن مجتمعها حديث التكوين، سواء بالنسبة للحضر ذات الغالبية القادمة من باقي مناطق سورية، أم البدو الذين تم توطينهم واستقرارهم في سياق سياسات حكومية واضحة لبناء مجتمع عربي فلاح جديد.

(6) - يوسف دعيس، عشيرة (الأكراد المليّة) إخوة (هدلة). لمزيد من التفاصيل، على الرابط: <http://www.esyria.sy>، آخر زيارة 2016/9/7

(7) - نقصد هنا ب (ما تحت الكولونيالية) الوريثة لنظام الانتداب الفرنسي.

(8) - للتفاصيل راجع دراستنا، الحزام (العربي) في الجزيرة السورية، مركز رووداو للدراسات، على الرابط:

<http://rudaw.net/arabic/opinion/230620151>

هذا المجتمع الذي كان على علاقة عضوية وثيقة مع السلطة البعثية - القومية التي انتجت ورسمت ملامحها الجديدة، فكانت الرقة من أكثر المحافظات ولاءً وتكيفاً مع سياسات حكم البعث، بإستثناء مواقف النخبة الرافضة لها والمعارضة لسلطتها، سواء الذين كانوا من تيار الإخوان المسلمون أو المتعاطفين مع حزب البعث العراقي، أم من اليسار الراديكالي. في المحصلة إندثرت هذه المعارضة وسحقت من قبل نظام الحكم وهي في مهدها.

## 2 - واقع الرقة الاجتماعي والسياسي بعد سيطرة داعش

واكبت الرقة مسار الإنتفاضة الشعبية المطالبة بالإصلاح والحريات عام 2011 وإن بشكل متأخر وهادئ نسبياً. في نهاية عام 2011 عندما اشتدت المعارك في مدينة دير الزور ومحيطها نزح جزء من سكانها إلى الرقة، كما بات طريق الرقة حلب والرقة دير الزور وكذلك الحسكة أكثر أماناً من غيره من الطرق الثانوية، في غضون أشهر وخلال عام 2012 بدأنا نصادف حواجز متحركة للمعارضة المسلحة على الطرق العامة المؤدية إلى مدينة الرقة<sup>(9)</sup>، في حين استمرت المدينة تحت سيطرة النظام. بدأت طلائع التنظيمات الاسلامية المسلحة تظهر مطلع عام 2012 في ريف الرقة.<sup>(10)</sup> في إنعطافة تاريخية حيث انتقلت الخلايا النائمة والجهاديون الوافدون إلى مرحلة الإعلان والظهور الاستعراضى لتوقيف السيارات المارة على الطرق العامة ولتدقيق البطاقات الشخصية بحثاً عن المتعاونين مع النظام، في حركة تأسيسية واضحة لسلطة

---

(9) - أثناء تواجدنا ضمن الكادر التدريسي طوال عامي 2011 و2012 في جامعة الجزيرة الخاصة، التي تقع شرق مدينة دير الزور في قرية البغليبة على الطريق العام المتجه نحو الرقة - حلب. تحولت القرية حالياً إلى أحد أهم مواقع داعش. الكادر التدريسي وبعض الطلاب كانوا مضطرين للسفر في تلك الفترة عن طريق الرقة سواء للوصول إلى الحسكة أم إلى حلب بأمان، وبذلك كنا نحتك اسبوعياً مع القوى المعارضة المسلحة، ونتعرف على تنامي قوتهم.

(10) - ففي إحدى الليالي أوقف الحافلة التي تقلنا مسلحون شباب ملتحمون، وطلبوا منا البطاقات الشخصية في حركات مسرحية مشابهة لسلوك أجهزة السلطة، دفعني الفضول والاستغراب لأسأل الشاب الذي يدقق ببطاقتي الشخصية: من أي منظمة أنتم؟ ولأي جهة تبعيتكم؟ فرد بهتديب نحن: (من الجماعات الإسلامية).



مسلحة جهادية بدأت تستوطن في المنطقة.  
مهدت تلك الفترة لبروز (جبهة النصر)، عبر مغازلتها لأبناء القبائل ذوي  
التوجهات الاسلامية السلفية.

### 3 - تسليم وإستلام الرقة وفرضية الفوضى المصغرة

تساهل النظام مع تغلغل وتمدد نفوذ الجهاديين في مناطق ريف الرقة، حتى  
انسحبت من مدينة الرقة في حركة سريعة يوم 2013/3/4 لصالح مجموعة من  
القوى الاسلامية المسلحة، كإجراء سياسي - أمني موزون، يهدف منع سيطرة  
المعارضة المنظمة المتمثلة بكتائب الجيش الحر، الذين باتوا يثبتون حضوراً  
بين المدنيين ويعيدون تنظيمهم، فضلاً عن مفاجأة المعارضة المدنية الفتية  
في المدينة عن طريق غمرها بسيل جارف من الجهاديين المتطرفين، وصولاً  
إلى عدم السماح لتجذر الفكر المعارض، سواء المدني أم العسكري المعتدل  
وغير الجهادي بين الأوساط الاجتماعية في الرقة عموماً وبين قبائلها في الريف  
خصوصاً. يبدو أن طبيعة الاجتماع القبلي في الرقة قد تبلور في تاريخه المعاصر  
ضمن بيئة الولاء للنظام بحكم العلاقة العضوية والتاريخية بالنظام وبعض  
منجزاته، كتوزيع الأراضي على الفلاحين وتمديد أقدية الري، التوظيف والتشغيل  
في المشاريع الإروائية كسدي الفرات والبعث، فقد ترعرع مجتمع الرقة على  
الموالة والعيش على منجز السلطة، الذي بدأ جاذباً له منذ استلام حزب  
البعث وتطبيق سياسات اجتماعية لصالح الفلاحين في ريف هذه المحافظة  
الحديثة العهد.

لقد تنبه النظام مبكراً إلى أن دخول الجهاديين الى الرقة لن يؤدي إلى  
تحول عميق في فكر وسلوكية مجتمعه القبلي بعكس المعارضة المعتدلة ذات  
الجزور المحلية، بمعنى إفتراضه أن المجتمع الرقاوي سيظل احتياطاً للنظام  
عند العودة، فسيطرة داعش من منظور النظام هي عملية بقاء واحتفاظ  
بهذا الاحتياطي، احتياطي الموالة القابل للاستثمار المستقبلي، حيث أن طبيعة

اعتدال قبائل الرقة ومحيطها الريفي غير منسجم مع الفكر الجهادي العنيف والمتطرف، بعكس بعض أوساط محافظة دير الزور وبعض أطراف المدينة المهمشة التي تمتلك قابلية أكثر لتبني الفكر والسلوكية المتطرفة والانخراط في المشاريع الجهادية المعادية للنظام. قد يكون هذا السلوك المتوقع لقبائل محافظتي الرقة ودير الزور تفسيراً أولياً لإصرار النظام على البقاء في بعض مناطق ريف ديرالزور والقسم الغربي من المدينة على الرغم من خسائره طوال السنوات الماضية، فقد تكون خسارتها لدير الزور نهائية. إرث دير الزور المعارض المنشق في أحد أوجهه عن صلب قيادات النظام تاريخياً عريق ومواظب على معاداة النظام، وليس كما فرها فابريس بالونش: « فعندما بدأت الاحتجاجات المعارضة للنظام، سارعت القبائل المتصلة بالسعودية إلى المشاركة فيها، ما يفسر سبب انضمام محافظة دير الزور إلى المعارضة بسرعة عام 2011 لأنها تتبع بولائها للسعودية، وتنتمي بقبائلها إلى البدو النبلاء، إلا أن الرقة بقيت وفية للنظام لفترة أطول لأنها تضم عدد أكبر من القبائل العادية، التي استفادت لعقود من الإصلاح الزراعي ومشاريع التنمية التي قام بها نظام البعث»<sup>(11)</sup>. فليس هنالك قبائل بدوية صرف في محافظة دير الزور مرتبطة بالقوة بالسعودية اجتماعياً، ولا بمعنى الولاء السياسي، فالواقع القبلي على طول نهر الفرات متشابه في المحافظتين.

#### 4 - اشكالية المبيعات العشائرية وآفاق الانقلاب على داعش

إن عملية تغلغل داعش بهذه السهولة لا يمكن تفسيرها بهذه البساطة، بمعنى بسبب ولاءها للسعودية فواقع الرقة وحوض الفرات الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي القبلي معقد، ولكن داعش تمكنت من بناء قاعدة شعبية وتوظيف البنية القبائلية لصالح استدامة صلاتها بصرف النظر عن الطبيعة الاجتماعية

(11) - فابريس بالونش، معهد واشنطن، على الرابط: : <http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/raqqa-will-not-fall-until-arab-tribes-fight-the-islamic-state> . آخر زيارة 2016/8/22

والدينية المعتدلة لقبائل الرقة الراضة لنظام الحكم السلفي المتشدد، فدور أتباع النظام في دمشق كان جوهرياً في عملية استلام وتسليم الرقة، إضافة إلى تدرج وتناوب سلطة المنظمات الجهادية فيها. لاحقاً لم تكن المبايعات القبيلة مجرد بروبوغاندا إعلامية وإنما ترجمت على الأرض على شكل شبكة من العلاقات السياسية والأمنية المدعومة بمصالح إقتصادية متمثلة في مكاسب بيع النفط والغاز. كما «بدأت داعش بنسج شبكة مصالح تضم شيوخاً ووجهاء عشائر ممن يطمحون للسلطة، ومنها بدأت ظاهرة المبايعات. كما حدث في بيعة الرقة الشهيرة، والتي تمت فيها مبايعة أربع عشرة عشيرة، عبر المشايخ ومندوبيهم، نذكر منهم: الشيخ حسن البريج والشيخ علي الخابور عن عشيرة البريج، الشيخ عبد الكريم الراكان شيخ السبخة، الشيخ مصطفى الخلف العيسى من عشيرة البوعساف، الشيخ خليل الهنداوي الهنادة، الشيخ هويدي شلاش المجحم والشيخ بشير الفيصل عن العفادلة»<sup>(12)</sup>.

في المحصلة عملت أوساط النظام بمهنية عالية لتشكيل بيئة سادت فيها حالة من الفوضى المصغرة والمحلية، وذلك لواد تجربة الرقة وعدم السماح لها لإنتاج منجز سياسي وإداري محلي تمثيلي أو انتخابي مدني أفضل من المؤسسات الشكلية لعهد النظام، لتتوافق حالة الفوضى مع تولد مشاكل إقتصادية واجتماعية.

اعتماداً على بيئة الفوضى وسيادة حكم داعش المتطرف تبقى القبائل القوى الوحيدة المتبقية في تماسكها وانتظامها الاجتماعي، فضلاً عن حساسيتها وقدرتها السريعة في التعرف على جوهر المتغيرات في مصادر السلطة واتخاذ موقف إلى جانب السلطة والقوة الصاعدة، قبل أن تسبقها القبائل المنافسة إلى الهدف المنشود.

فأي تمهيد وترتيب لمعركة الرقة يتطلب أولاً البحث في كسب القبائل: «إن أي جهد من هذا القبيل سيتطلب فهماً كاملاً للدور المتنامي الذي تؤديه القبائل

(12) - مركز التنمية البيئية والاجتماعية، 2016/8/2، على الرابط: <http://www.etccmena.com/?p=2490> آخر

زيارة 2016/8/24

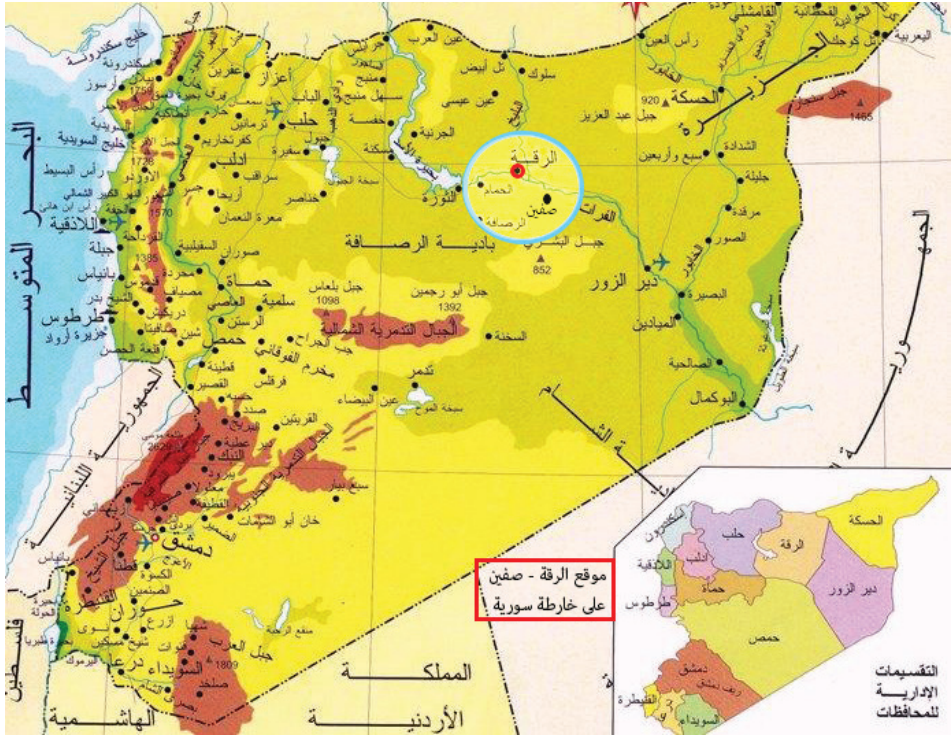
هناك، أولاً في ظل نظام الأسد والآن تحت حكم تنظيم الدولة الإسلامية»<sup>(13)</sup>. ولكن ليست كل القبائل ولا شيوخها مرتبطون بالنظام حالياً أو يحنون إلى عهده، فثمة من هو مستفيد من مرحلة حكم داعش، بل يفضلها على المرحلة السابقة، لذلك ليس من الدقة أن نفترض أن بساط القبائل من السهل سحبه من تحت أقدام داعش.

## 5 - روح صفين تحوم حول الرقة

ثمة عودة قوية في الدول الشرق أوسطية إلى التاريخ، رغبة ملحّة في استحضار التاريخ لخدمة الأجنّات والمعارك السياسية الراهنة، فأوضاع الرقة الراهنة ومعركتها القادمة تذكر بجيوبوليتيكاها التاريخي بالضرورة، الرقة التي تقع عدة كيلومترات شمال غرب موقع (صفين) على الضفة اليمنى لنهر الفرات، تكاد تورث رمزية ماضيها (إنظر موقع الرقة و صفين على خارطة سورية رقم (1)).

صفين التي منها وفيها بدأ الصراع داخل قمة الحكم الاسلامي، ففيها جرت أكبر معركة وأكثرها سوءاً في التاريخ الاسلامي، فقد نشبت معركة ضارية بين أنصار علي ابن أبي طالب، صهر الرسول محمد (ص)، وأنصار معاوية ابن سفيان الذين دحروا أنصار علي وأسسوا لسلطة شبه دنيوية إمبراطوية، هي الامبراطورية الاسلامية - الأموية، ترسخت تلك السلطة بعد المعركة التي قتل فيها الكثير من الصحابة والقادة العرب المسلمين عام (37) للهجرة المصادف (657) ميلادي، لدرجة أن سميت معركة صفين في التاريخ الاسلامي بالفتنة الكبرى، إذ دشنت صفين للتشيع المذهبي السياسي وللصراع المزمّن داخل المجتمعات الاسلامية.

(13) - فابريس بالونش، معهد واشنطن، مرجع سابق.



خارطة رقم (1) موقع صفين

هل عادت روح صفين وكيف؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد من العودة إلى السنوات التي سبقت مرحلة داعش، التي اهتمت إبانها الجهات الإيرانية المختصة بريف الجزيرة عموماً والرقة خصوصاً، بدء الاهتمام بأضرحة آل البيت، كما نبشت تاريخ بعض العشائر إستناداً على فرضية إتصال نسبها بآل البيت وبالتالي توظيف جغرافية صفين وذاكرة المكان مذهبياً، ليؤسس حكام إيران لمشروعهم الأيديولوجي السياسي المذهبي في جغرافية مكان ولادة التشيع، فقامت بعمليات إحياء روح التشيع بطريقة ناعمة. «فالدعوة إلى المذهب الشيعي كانت متّجهة في الغالب إلى القبائل التي تدّعي نسبها إلى آل البيت وعلي بن أبي طالب. وكانت هذه الجهات، قد اعتمدت على الفرضية السابقة، لإقناع عدد من أفراد عشيرة البوسرايا في منطقة الشميطية بين دير

الزور والرقعة بالتشيع. بدأت العديد من المراكز والحسينيات تنتشر في الرقعة، ففي مزرعة حطين القريبة من مدينة الطبقة تم بناء مجمع الزهراء بإشراف عبدالمجيد السراوي، إضافة إلى بناء حسينية في تل أبيض. وتؤكد المصادر بأن دعاوى التشيع كانت مرفقة بإغراءات مادية في الغالب، تتراوح بين 5 إلى 10 آلاف ليرة سورية، لاستقطاب أبناء الشريحة الفقيرة في الجزيرة خصوصاً<sup>(14)</sup>. وما ان وصلت الرقعة إلى محطة إنتفاضة عام 2011، حتى تراكم الاحتقان من ممارسات التشيع، التي ساهمت للإنحياز المذهبي وسهلت استقبال السلفيين الجهاديين. بعد إحكام سيطرة داعش على الرقعة مطلع عام 2014 وتطبيق فكره ومن ثم حكمه المتشدد، بدأت معركة حقيقة طويلة متعددة الأوجه يمكن تسميتها وعنوانها «بصفين الجديدة»، وهي تبدو كصدى معولم للمعركة التاريخية الأم. إن روح صفين الجديدة قد شحنت بديناميات جديدة وحوافز كبيرة يتمثل أولاً في استثمار آبار النفط ومعامل الغاز التي تركتها الشركات التابعة للدولة (أو الأجنبية)، سائبة في عهدة السكان المحليين، فضلاً عن انخراط قوى محلية وإقليمية ودولية بعيدة، حتى باتت المعركة مصيدة لتصفية القوى الشابة الجهادية المستقدمة من مختلف أنحاء العالم. ربما كان من الصعوبة بل من الاستحالة تجميع كل الشباب المتطرف في هذه الرقعة المسالمة البائسة من العالم، لولا روح صفين الجاذبة للقتال الأبدي المتأرجح بين قطبي نار الحق وظلام الباطل، واستثمار كل هذا الصراع الدموي في حقل الجغرافيا السياسية. لقد تجسدت روح صفين في بناء أضرحة آل البيت على شكل نصب ومعالم فيزيائية بارزة، فقد إنتصب في الضاحية الشرقية لمدينة الرقعة، ضمن حي الفقراء مسجد شاهرقي إيراني الطراز والزخرفة، كمعلم أولي وترجمة هندسية لإستحضار روح صفين، حيث شيدت على مجموعة من القبور التي يُعتقد أنها لضحايا حرب صفين، كقبر الصحابي عمار بن ياسر.

ما هو مهم في سياق إحياء روح صفين سياسياً ومذهبياً أنه في عام 1983

(14) - مركز التنمية البيئية والاجتماعية، 2016/8/2، على الرابط: <http://www.etcmena.com/?p=2490> آخر زيارة 2016/8/24 اعتماداً على تقارير لنشطاء ميدانيين.



بدأت محافظة الرقة بإزالة القبور القديمة والحديثة لتشيد على أنقاضها حديقة ومنتزهاً عاماً. وفي عام 1988 وافق حافظ الأسد على طلب إيران بالاعتناء بضريح كل من عمار بن ياسر وأبي بن قيس النخعي وأويس القرني، والإشراف على ترميمه وتوسعته وبناء جامع كبير عليه، ليتم تثبيتها كأحد المقامات الشيعية المقدسة. بدأ العمل بالمقام بشكل هادئ في عام 1988 حتى تم تدشينه في عام 2004.

تم تدمير المنشأة الرمزية الشيعية هذه من قبل تنظيم داعش بعد سيطرته على محافظة الرقة، وذلك في (26 مارس 2014)، انهارت على أثره مآذن المسجد. ثم أعاد التنظيم تفجير ما تبقى من المسجد يوم 15 أيار 2014.<sup>(15)</sup> صحيح أن داعش يعتبر بناء القبور والأضرحة أعمالاً شريكّة تؤدي إلى الحكم بالتكفير، لكنها هنا دمرت المنشأة لسبب إضافي كونها رمز للحضور الشيعي في منطقة تعد سنية.

لقد كانت حركة التشيع والتبشير الإيرانية بداية لإحياء روح صفين، وغزوة داعش جاءت استكمالاً واستمرارية لمضامينها الصراعية، لدرجة أن معركة الرقة تبدو بصيغة ما كأحد أهم حلقاتها، وإن لم تعد صراعاً صافياً على الخلافة داخل بيت المسلمين ولا نزوحاً باتجاه السيطرة على مياه الفرات العذبة، أو طرق التجارة بين المشرق والمغرب، فهي في المحصلة تجسيد للصراع المذهبي المعوم، في حركة نكوصية تعاكس الحداثة وخط التطور العام للمجتمعات المعاصرة، فالمعركة بقدر ما تحمل من ميراث الماضي الصراعي العربي الاسلامي الثقيل، بالقدر نفسه يحمل بين طياته جوانب ومستجدات الصراعات المعاصرة، التي لا بد من حضورها إلى الميدان، كالصراعات القومية والاقليمية والدولية، إن صفين الجديدة هي أحد أبرز الاشارات إلى تراجع مجتمعاتنا المعاصرة إلى عهد الصراعات الطائفية والمذهبية السلطوية وإبتعادها عن التوافقات الناظمة للدولة الحديثة، إنها ارتداد شديد عن مسار الحداثة في مجمل إقليم الشرق الأوسط وإن بصيغ موارد غير ملموسة.

(15) - جريدة السفير، 2014/5/16، الرقة: تفجير مقام أويس القرني، على الرابط: <http://assafir.com/Article>

## 6 - لماذا معركة الرقة؟

يظل هذا السؤال رئيسياً يتطلب الإجابة عليه قبل بدء معركة الرقة، لبيان أهميتها، وضرورتها العسكرية والسياسية، ومن ثم يتبعها أسئلة أخرى، فمن سيدير شؤون المدينة؟ هل يمكن فصل معركة الرقة عن معارك: جرابلس، الراعي، الباب وحلب القادمتين؟ في سعينا لتفسير هذه المعركة، لابد من التذكير بدور محافظة الرقة العسكري المبكر على الساحة السورية وما إنتهى إليه هذا الدور.

لقد كانت منطقة الرقة من المناطق التي مهدت للعمل المسلح في شمال سورية، فقد هيأت الأرضية والمناخ مبكرا للعمل العسكري في مناطق تل أبيض والزبيدي جنوب منطقة سلوك، وأعلنت الكتائب المسلحة فيها عن نفسها<sup>(16)</sup> ، ذلك على الأرجح بتشجيع مسبق من السعودية وتركيا، وإعتقادا على وجود عدة قرى تركمانية في ريف الرقة الشمالي إستخدمت كمحطات إقامة للوافدين، خصوصا من آسيا الوسطى وتركمانستان. فتح ريف شمال الرقة النافذة الأولى لدخول الجهاديين إلى سورية والعراق: «بدأ العمل العسكري في المحافظة في المناطق المحاذية للحدود التركية في منطقتي تل أبيض وسلوك وتم تحرير تل أبيض في 19 أيلول 2012 كنقطة تحول في العمل العسكري والمدني، قتل أبيض معبر حدودي مع تركيا، ذلك أمن طريقا آمنا للإمداد التسليحي والتمويني، وكذلك دخول المجاهدين الذي بدأ على استحياء في بداية الأمر، والذين تمركزوا بداية في ناحية سلوك، في وقت كانت تركيا فاتحة الحدود على مصراعيها في النقاط التي سيطرت عليها الكتائب المسلحة التي تقاتل النظام»<sup>(17)</sup> وما يثبت احتضان قرى التركمان للعديد من الجهاديين، أنني

---

(16) - لقد برزت تنظيمات مسلحة في عدة قرى وسط بادية شمال الرقة في منطقة الزبيدي ذات الكثافة السكانية المنخفضة، ويبدو لي أنهم نظموا عملية تفتيش السيارات نهاية عام 2011، فعند مرورنا المتكرر عليهم في تلك الفترة، تبين لنا أن كانوا من بدو المنطقة، على الأرجح فخذ من قبيلة العنزة العربية، كما دونوا في تلك الفترة على جدران مقراتهم شعارات مؤيدة لملك السعودية، وربما رفعوا صورته، قبل أن تنتظم الفصائل العسكرية وتتناحر ضمن تيارات متصارعة.



سبق أن إلتقيت في الطريق بين الحسكة والرقّة، في تلك الفترة مع جهاديين تونسيين، وتجادبنا أطراف الحديث، حيث أفصحوا بأنهم يستقرون في قرية (حمام التركمان) في منطقة البليخ شمال الرقّة.

ولكن لماذا تراجع دور الرقّة العسكري والسياسي؟ لقد فقدت التوافق السياسي ضمن أطراف المعارضة سابقا، كم دخلت قوات (ي ب ك) على الخط، لذلك أهمية معركة الرقّة الراهنة وتقييم دورها السياسي يكمنان في درجة التفاهمات السياسية والاتلافات المرافقة والمؤسسة لها، طبيعة القوى المحلية والإقليمية المشاركة، درجة تسليحها وعددها؟ كل ذلك سيساهم بوضوح في شكل الإدارة المحلية التي ستخلف سلطة داعش وستؤثر بفعالية على النظام السياسي الجديد لعموم سورية.

من جانب آخر تندرج معركة الرقّة فكريا ضمن سياق عولمة صفين، التي تقوم بدورها في تعقيد وتشابك خيوط الحرب على الإرهاب التي تدور على أرض سورية والعراق عموما، وحول مدينتي الموصل والرقّة خصوصا.

إن إفتراضنا بأن معركة الرقّة هي صفين جديدة ومعوّمة ينبثق من حقيقة غياب الرؤيا السياسية المعاصرة من قبل قادة التحالف والدول الفاعلة في الحرب السورية، فليس ثمّة تصور سياسي - برنامجي مسبق وواضح حول مرحلة ما بعد تحرير الرقّة من داعش، فضلا عن شكل سورية المقبلة ونظامها السياسي وعلاقته بعلمانية الدولة، بل تندرج المعركة حصريا ضمن جهد حربي ودبلوماسي أحادي الجانب، تحت عنوان فضفاض: (الحرب على الإرهاب) و (إلحاق الهزيمة بداعش)، هذا العنوان الذي ينتمي إلى أدبيات البنتاغون العسكرية أكثر من إنتمائه لعالم الدبلوماسية السياسية، أو حتى وجود معادل سياسي له بعد المعركة.

الإقرار بأهمية معركة الرقّة تأتي من حقيقة سحب أكبر وأوسع بساط اجتماعي وخرزان بشري من بين يد داعش، كما أنها تكشف عن مركزية

---

(17) - خلف علي الخلف، الرقّة من عباءة الأسد إلى سيف الدولة الاسلامية. ص10، نسخة pdf. مركز دراسات

الجمهورية الديمقراطية، تموز 2015، على الرابط: <http://drsc-sy.org>

الحدث ودلالته الأيديولوجية - التاريخية، فالمعركة تكثيف لإستحضار تاريخ الصراع المذهبي على السلطة، وربما عربي لحقائقها وملابساتها، فمعركة الرقة ليست عسكرية فحسب وإنما رمزية معرفية ذي عمق تاريخي في جوهرها، تعيد إلى الأذهان الأسس والمبررات الضعيفة لمشروعية الصراع على الحكم منذ العهد الاسلامي الأول، كما تبين بطريقة أو بأخرى درجة إنحراف النشاط المجتمعي السوري عن مساره المدني السياسي ومدى النكوص الطائفي الذي أصابه. وهي من زاوية أخرى تندرج في سياق العودة إلى مشروع الحداثة رغم كل مشاكلها وتواضع محتواها، لدرجة يمكن عدها محاولة جادة لإعادة المجتمع العربي المعتدل في الرقة وحوض الفرات إلى نسق حياته التي كانت تلامس وتتفاعل مع الحداثة، حيث كانت بعيدة موضوعياً عن التشدد والتعصب، والتي تمثلت بإنخراطها في عمليات الاستقرار الريفي والحضري وسعي أبنائها إلى التعليم، لذلك فهي معركة تتطلب أدوات ليست عسكرية فقط لخوضها وإنما فكرية وبالتالي أسلحة ومنهجاً خاصاً لدمقرطة المجتمع ورفع حصانته المعرفية والثقافية.

## 7 - منبج فتحت الطريق إلى الرقة أم جرابلس؟

كانت معركة منبج وعملية تحريرها من سيطرة وحكم داعش تدريباً وتجريباً ومقدمة لمعارك أكبر، فلم تتضح بعد أولويات المعارك التي ستأتي قبل الرقة أو بعدها، علماً أن الإدارة الأمريكية على لسان وزير الدفاع آشتون كارتر قد أشار إلى أن معركة منبج نصر يساهم في فصل الرقة عن الحدود التركية، فقد كانت بمثابة مقدمة للمعارك الأكبر وخاصة لمدينة كبيرة مثل الرقة. إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بعض المعلومات الميدانية والإخبارية تؤكد مشاركة قوات أمريكية خاصة في تحرير منبج، وتقييم واشنطن في المحصلة لعملية منبج، على أنها مرحلة متقدمة للتحرك نحو تحرير الرقة وتثبيت التحالف مع (قوات سورية الديمقراطية)، فإن منبج شكلت الخطوة الأولى نحو معركة الرقة: «يمكننا من تحقيق هدفنا التالي في سوريا؛ وهو إنهاء

سيطرة داعش على مدينة الرقة»<sup>(18)</sup>. أما قادة قوات سورية الديمقراطية فقد أفصحوا عن عزمهم للتوجه نحو تحرير الباب وأعلنوا عن تشكيل مجلس عسكري للمدينة مكوناً من سبعة كتائب عسكرية، وهي: «جبهة ثوار مدينة الباب، لواء شهداء قباسين، لواء السلاجقة، كتائب شهداء ريف الباب، كتيبة أحرار عريمة، لواء الشهيد سلو الراعي، لواء شهداء الكعبية... وذلك برئاسة جمال موسى»<sup>(19)</sup>.

لكن مسار الأحداث تغيرت بسرعة، فقد ترافقت عملية تحرير منبج من سيطرة مسلحي داعش مع حدثين دبلوماسيين مهمين، ذات علاقة وثيقة بالمتغيرات الميدانية على الساحة السورية. أولهما التوافقات الروسية - التركية الجديدة إثر انتهاء إجتماع القمة بين الدولتين المنخرطتين بعمق في الحرب السورية، كما إنطلقت تصريحات واضحة من اجتماع وزيرى خارجية إيران وتركيا، تفسر إستراتيجياً على أن الدول الثلاث تتجه نحو التوافق على إيجاد أكبر مساحة للمشتركات بخصوص الشأن السوري، ربما في مقدمتها نسف المنجزات الجيوسياسية والمعنوية التي تحققت لصالح الكورد وخاصة قوات سورية الديمقراطية، كما أنهم توافقوا على إرسال رسالة مشتركة إلى واشنطن وربما باريس وبرلين، تتلخص في أنهم لن يسمحوا للكورد من إحداث تغيرات سياسية جوهرية، تترجم سيادياً على الأرض، كثمن لتضحياتهم وحربهم الواسعة على الإرهاب وطليعتها (داعش)، هذا المسعى الذي ترجم لاحقاً في منع تجاوز قوات سورية الديمقراطية الفرات نحو مناطق ريفي جرابلس والباب. لا شك أن عملية تحرير منبج وضمها إلى مجموع المناطق التي يتم حمايتها من قبل قوات سورية الديمقراطية، وبالتالي احتمال إدارتها من قبل سلطة الإدارة الذاتية بقيادة حزب الاتحاد الديمقراطي، شكل منعطفاً في مسار المتغيرات السياسية والعسكرية على الساحة السورية، وقد تكون غزوة جرابلس بقيادة

---

(18) - لمزيد من التفاصيل، أمريكا تشكر تركيا لدعم تحرير منبج رغم الخلاف حول PYD، الخليج او نلاين، على

الرابط: <http://alkhaleejonline.net>

(19) - تشكيل «المجلس العسكري لمدينة الباب وريفها» لانزاعها من تنظيم «الدولة». وكالة سمات، على الرابط:

<https://smartnews-agency.com>

تركيا يوم 2016/8/24 جاءت كرد سريع على سيطرة قوات سورية الديمقراطية على منبج، ودفعنا بإتجاه ترجيح إنسحابها من منبج وريفها. هذا على ما يبدو ما توافقت عليها كل الأطراف الإقليمية، بناء على سياسات ومطالبب الحكومة التركية، لذلك فإحتمال أن تستمر سيطرتها مع الفصائل الموالية لها على الشريط - القطاع الحدودي بين جرابلس - الراعي فإعزاز بعمق يتجاوز (12) كم بات واردا، لتوظيف هذا التموضع لصالح تأثيرها على الحل السياسي وشكل الحكم في سوريا وبالتالي الحد من النفوذ والقوة الكوردية الصاعدة على الساحة السورية.

إذ قال المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، أدريان غالواي: «كنا واضحين مع جميع عناصر هذه العملية، بأن الهدف من هزيمة داعش في منبج هو إعادتها إلى سيطرة وحكم السكان المحليين».<sup>(20)</sup>

نفترض أن عملية تحرير منبج جاءت على حساب الرقة ومهدت لتحرير الباب أو جرابلس من سيطرة داعش، لكن تركيا تدخلت بقوة ودخلت بلدة جرابلس يوم 2016/8/24 في عملية اجتياح عسكري تحت عنوان «درع الفرات» وعينها على منبج والباب لتثبيت فصائل تركمانية وكتائب من الجيش الحر الموالية لأنقرة في غرب الفرات، بهدف وضع جدار في وجه تقدم قوات سورية الديمقراطية وتهيأة المناخ لإنسحابها إلى شرق نهر الفرات، والتأثير على مسار معركة الرقة.

مجمال الأحداث في النصف الأول من شهر أيلول 2016 تدفع بإتجاه إعطاء الأولية لمعركة الرقة، بصرف النظر ما إذا عجلتها عملية تحرير منبج أم سيطرة الفصائل الموالية لتركيا بمساندة مباشرة من الجيش التركي على جرابلس والراعي وريفهما.

لذلك نفترض هذه القراءة بأن الرعاية العسكرية الأمريكية بقيادة البنتاغون لقوات سورية الديمقراطية إذا لم ترتقي إلى مستوى التأييد السياسي - الدبلوماسي فإن معركة الرقة ستظل غير واضحة المعالم سواء من حيث الزمن أو الخطة

(20) - الخليج أون لاين، المصدر السابق، آخر زيارة 2016/8/31

والأهداف، وقد لا تتحمس قوات سورية الديمقراطية لخوضها بعد أن تفاجأت بمآل ونتائج تحرير منبج.

في هذا السياق مازال العديد من الأسئلة تبحث عن إجابات وافية، فهل ستخلص «صفين الجديدة» أهالي الرقة والجزيرة من بطش داعش، وهل ستؤسس المعركة لسلطة أفضل من سابقتها؟ هل قوات سورية الديمقراطية ستكون المفتاح والأداة لهذه المعركة؟! وبالتالي مدخلا للخلاص من الاستبداد والتطرف معا. ستظل الاجابة مرتبطة بشروط المعركة نفسها، فقوات سورية الديمقراطية هي في كل الأحوال أفضل من الجيوش الأجنبية وأدرى بمعاناة أبناء المنطقة، فهي تأتي من الجوار القريب ذات العلاقة بالرقة، ونجاحها مرتبط بعدد وسوية المشاركين فيها من أبناء الرقة والجزيرة الفراتية، فدرجة تعاونهم وتشاركتهم يهدد للحلول المستدامة، كما أن مظلته السياسية (مجلس سورية الديمقراطي) بسوية أدائها السياسي واحتواءها لقوى عربية وزعماء القبائل هو المعني بشروط ضبط العمليات ودرجة نجاحها سياسيا واداريا، بالتالي منع نشوء صراع ذات طابع قومي عربي - كوردي في نهاية المطاف، في حين الرعاية الدولية الدبلوماسية الأطلسية - الخليجية ستزيد من فرص نجاح الحملة، والتأسيس لسلطة مدنية - اجتماعية محلية توافقية. علما أن آخر الأخبار المتعقلة بالتحضيرات لمعركة الرقة تشير إلى إستمرار التنسيق العسكري الأمريكي مع قوات سورية الديمقراطية، دون تغيير واضح أو جديد في سياسات واشنطن إتجاه مسار الحل السلمي وعلاقتها بمعركة الرقة، لكن ما هو واضح أن موقف واشنطن وأنقرة مختلفان من معركة الرقة، فتركيا مصرة على عدم مشاركة (قسد) فيها كما أن إشارات واشنطن بصدد ضرورة عدم توغل القوات التركية نحو مناطق جنوب جرابلس تفسر عدم رغبة أمريكا في المشاركة التركية المشروطة ضمن معركة الرقة، وربما سيزيد هذا الموقف التركي المتشنج من مشاركة (قسد) من الإصرار الأمريكي والأوروبي على دعم الأكراد السوريين<sup>(21)</sup>.

## 9 - معركة الرقة كمعلم بارز على طريق التسوية السياسية

إلى أين ستتجه سورية بعد معركة الرقة وأي مصير ستقره لمناطق المحافظة وجوارها، هل ستفتح الطريق نحو دمشق عبر مدينة السلمية؟ أو إلى حلب فإدلب، أم القامشلي، فلكل من هذه الطرق البرية الثلاث مسارات سياسية تواكبها (دقق مسارات الطرق البرية 1،2،3، على الخارطة رقم 2 المرفقة) .

من سيدير شؤون المدينة؟ أي قوى سياسية واجتماعية ستشارك؟ كيف سيتم حفظ الأمن في مناطقها الواسعة فضلا عن مركز المدينة، ثمة عشرات الأسئلة الأخرى ذات الصلة التي ستظل بدون أجوبة وافية وواضحة إلى أن يتم تحديد التحالف، القوى أو اللجنة المصغرة لإدارة المعركة.

---

(21) - سميح ايديز. تركيا تطالب بدور في معركة الموصل لكنّ التحالف غير مقتنع، المنيتور، على الرابط: آخر زيارة

2016/9/20

<http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/201609//turkey-iraq-syria-isis-raqqa-mosul.html#ixzz4KmYXpyud>

html#ixzz4KmYXpyud



خارطة رقم (2) مسارات ارتباط الرقة مع المدن - مراكز السلطات السورية

بناء على الخط العام لمسارات ومجريات الأحداث العسكرية والسياسية التي قد تنجم وتكون ذات علاقة وثيقة بمعركة الرقة، ثمة مسارات وسيناريوهات رئيسية قد تنبثق عن مخرجات معركة الرقة، ثم تفضي إلى مقدمات الحل وتفصح عن موقع معركة الرقة فيها.

لقد تطلبت معركة منبج أكثر من سبعين يوماً والعديد من الضحايا، حتى تم تقييمها أمريكياً بشكل ايجابي، على أنها قطعت الطريق بين الرقة وتركيا، وإعتبرت مقدمة وتجربة ناجحة قبل معركة الرقة الأكبر والأصعب، بمعنى حددت الرقة الوجهة الثانية من منظور أمريكي، في حين صرحت قوات سورية الديمقراطية بأن المعركة التالية هي الباب، دون أي توضيح وتقديم للمبررات، لم يتضح بعد فيما ستتجه قوات سورية الديمقراطية إلى ريف الباب الشمالي أم مركز مدينة الباب؟ لكن عملية «درع الفرات» قلبت الموازين العسكرية

والسياسية وبالتالي غيرت وجهة قوات سورية الديمقراطية، فالمعطيات تغيرت تماما بعد التدخل التركي في جرابلس ورجحت أكثر معركة الرقة، هذه المعركة التي تبدو منسجمة أكثر مع مطالب تركيا وحلفائها، وستولد بأهميتها خمسة سيناريوهات رئيسة تؤثر على الخط العام ومصير الحل السياسي في سورية:

**أولاً:** إذا انخرطت قوات سورية الديمقراطية في معركة الريف الشمالي لمنطقة الباب وربطت كوباني، منبج وريف الباب عبر بلدة (قباسين) مع منطقة عفرين، معنى ذلك أن سير المعارك في شمال سورية يتم لصالح ترجيح تشكل إدارة ذاتية كردية على الأرض، عزل واستبعاد تركيا بصورة أمتن عن الداخل السوري، وحصرها في مستطيل جرابلس - الراعي - إعزاز، الذي بات على ما يبدو في الأسبوع الأول من أيلول تحت سيطرة تركيا وحلفائها.

معركة ريف الباب قد تفتح معركة جانبية لقوات سورية الديمقراطية مع كتائب الجيش الحر والتركمان المواليين لتركيا. للخروج من هذا المأزق وتجنب الإصطدام بين الكورد وتركيا أو حلفائها، على الأرجح ستكون معركة الرقة لها الأولوية أمريكيا، وإن لم تكن الرقة ذاتها على صلة مباشرة بمشروع الإدارة الذاتية الديمقراطية، فمعركة ريف الباب الشمالي هي المرشحة لتخدم مشروع الادارة الذاتية أو فدرالية الشمال السوري ذات الغالبية الكوردية إن شئنا الدقة، لأن السيطرة والبقاء في ريف شمال الباب له الأولوية من المنظور الكوردي وهي تعزز الجغرافية السياسية الجديدة لمجلس سورية الديمقراطي، بمعنى آخر لو جاء تحرير الرقة بعد ريف الباب - منبج فسيكون دعما وربما سندا لفدرالية الشمال وتوسيعا لجغرافيتها، وقد ترتبط الرقة مع الحسكة - القامشلي بعلاقات اقتصادية وسياسية وثيقة، لكنه ليس الإحتمال الأقوى، بل هو إحتمال ضعيف بسبب عوامل متعددة، خاصة أنه مرتبط بدرجة الصراعات الاقليمية والدولية، وبالتالي بحقيقة وجود مشروع أمريكي اطلسي استراتيجي في المنطقة، مختلف ومعاكس لمسار التفاهم والتقارب الايراني - التركي - الروسي.

**ثانياً:** إذا تم خوض معركة حلب وانخرطت لهذه الغاية فصائل قوات سورية



الديمقراطية في معركة مدينة الباب للضغط على شرق حلب وللسيطرة على مدينة الباب وريفها وتخليصها من حكم داعش، وإن كانت هذه المعركة تحت الرعاية والدعم الأمريكي مع تفهم روسي، معنى ذلك أنه سيتم الاستعجال بالتسوية السياسية لصالح النظام في ظل تفاهم دولي، وسيتم ضرب الفصائل الاسلامية المسلحة المؤتلفة أخيرا جنوب حلب، وهو احتمال بات بعيدا بحسب المباحثات الأمريكية - الروسية في الأسبوع الأول من أيلول 2016. **ثالثا:** إذا تم إعطاء الاولوية لمعركة الرقة والبدء بها قبل معارك الباب - حلب، فهذا يعني تفتيت وتشتيت قوة داعش، والبقاء على حلب كمركز للمعارضة السورية والاحتفاظ بالخرزان البشري العربي السني لتوظيفات المرحلة اللاحقة، وبالتالي تأجيل التسوية إلى فترة بعيدة قادمة. لتظل حلب مركزا لمقاومة المعارضة الاسلامية السورية، على إتصال مع ريفها الغربي وإدلب، في حين أن الرقة هي حاليا مركز لوجود وقوة داعش. إن تدمير أحد المراكز سينعش المركز الآخر وهذا احتمال وارد.

**رابعا:** إذا تم تحرير الرقة وإرتفع منسوب التفاهم والتنسيق الأمريكي - الروسي - الايراني - التركي على بقاء نظام الحكم في دمشق، فعلى الأرجح سيتم فتح طريق الرقة سلمية - دمشق، وستعود تدريجيا سلطة دمشق المركزية إلى محافظة الرقة، ولن تنضم محافظة الرقة إلى الإدارة الذاتية، رغم القرب الجغرافي وهذا الاحتمال هو الأرجح ولو تأخر لعدة أشهر.

**خامسا:** السيناريو الأخير المغاير الذي برز وازداد احتمال حدوثه بعد لقاء القمة بين أوباما وأردوغان على هامش اجتماع G20 في الصين، حيث «أكد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن بلاده مستعدة لقبول اقتراح واشنطن حول إجراء عملية مشتركة لتحرير الرقة السورية من أيدي تنظيم داعش»<sup>(22)</sup>. إذا صدقت تسريبات وتلميحات الرئيس التركي الأخيرة بأن الرئيس الأمريكي طلب منه المشاركة في معركة تحرير الرقة، وفي حال تم التوافق على ذلك مستقبلا فهذا يعني تغييرا في مجمل مسار معركة الرقة وأهدافها، فبحسب

(22) - مزيد من التفاصيل: على الرابط - <https://arabic.rt.com/news/839875>

هذا الاحتمال ستتوغل القوات والاستخبارات التركية في العمق السوري وستقبض بقوة على الورقة السورية وستخلي شمال سورية من القوات الكوردية وتستبدلها بالمنظمات الجهادية، وربما توسع من الرقعة التي تسيطر عليها بين جرابلس واعزاز لتتحول الى مشروع كانتون إسلامي - تركماني، وبالتالي باحة خلفية ومزرعة لاستنابات الجهاديين من جديد. لذلك يبدو لنا أنه احتمال ضعيف.

بصرف النظر عن أرجحية أي سيناريو، يمكن التكهن بأن مصير وتوقيت معركة الرقة ونتائجها ستكون في غاية الأهمية وقد تحدد مصير مسار الحل السلمي في سورية، فضلا عن شكل الدولة السورية المستقبلية، بما فيه آفاق نجاح فدرالية الشمال أو فشلها ذات العلاقة الجغرافية والاجتماعية الوثيقة.

## 10 - معركة الرقة وآفاق الفدرالية الكوردية في الشمال

لم يكن للرقعة وكذلك منبج في يوم من الأيام أي موقع خاص في أدبيات الحركات والأحزاب الكوردية في سورية، فقد عدت كمناطق عربية مجاورة، يبدو أن خوض قوات سورية الديمقراطية معركة منبج لم تستند إلى مرجعية قومية أو سياسات كوردية سابقة، وإنما تتوافق وتنبثق من ايدولوجية حزب العمال الكوردستاني P.K.K اليساروية شبه الطوباوية المتمثلة في السعي النظري لتحرير كل سورية والشرق الأوسط، وكذلك تندرج بصيغة ما ضمن معركة الرقة القادمة في سياق عولمة صفين لتساهم في تعقيد المشهد سياسيا، خاصة في ظل غياب مرجعيات سياسية، برامج أو أطر وطنية سورية جامعة، أو محلية ذات علاقة بالرقعة، فضلا عن تصور أو سيناريو واضح لرسم ملامح إدارة مرحلة ما بعد داعش محليا في الرقة. معركة الرقة مرتبطة مع مشروع التسوية السياسية في سورية أكثر من علاقتها بفدرالية الشمال أو الجزيرة السورية، فمشاركة قوات سورية الديمقراطية تأتي عبر تكثيف الجهد العسكري والدبلوماسي الدولي ضمن حملة منظمة وتحت سقف إستراتيجي منخفض،

يتلخص في إلحاق الهزيمة العسكرية بداعش وتفكيك سلطته على أرض محافظة الرقة ووادي الفرات.

فمهما كانت صلابة وصدقية القوات المشاركة وحجم القوات الكوردية ضمنها، ينبغي المحافظة على إرادة السكان واستبيان رغبتهم الذاتية في الخلاص من حكم داعش المتطرف الجامد، بحيث يكون الخلاص مطلباً شعبياً، ويستحسن أن يكون المجتمع المحلي هو الذي فضل وقرر خيار المعركة، لتحترم عبرها خياراتهم السياسية وعدم تمكين أي قوة خارجية إلا في حدود المحافظة على الأمن لمرحلة إنتقالية واضحة المعالم. صيغة الفدرالية أو المركزية المطلقة ينبغي أن لا يفرضاً على السكان، فالنخب المحلية والقيادات المشاركة في التحرير هي التي من حقها التفكير في عقد إجتماعي وسياسي جديد، بعد مرارة تجربتهم مع داعش، وقد تتضح على ضوء مجريات المعركة طبيعة العلاقة مع الجيران، خاصة الكورد كمكون قريب وقوة رئيسية في عملية التحرير. كما يظل من الأهمية لنجاح معركة الرقة وحسن توظيفها سياسياً أن لا يتم أي فرض للإرادات أو الخيارات السياسية - القانونية. إن هذا الرأي والتوجه السياسي المفترض يشكل عامل أمان ويبعد احتمالات الفشل في ظل تشنج سياسي يسود بين أوساط المعارضة وكذلك سلطة دمشق من مشروع فدرلة سورية عموماً وفدرالية الشمال على وجه الخصوص.

إن التخوف السياسي العربي السوري المتزايد من الفدرالية، الذي عبرت عنه أوساط عريضة من القوى السياسية والطبقات الاجتماعية وتلخصت في أن الفدرالية السورية هي مكسب حصري يخص الكورد وحدهم دون باقي مكونات المنطقة، وهي بالضرورة خسارة للأطراف السورية الأخرى، وصولاً إلى أن تكونت ما يشبه «فوييا الفدرالية»، إذ يتم الربط بين حتمية تقسيم سوريا والصيغة الفدرالية لها، وذلك بشكل سافر وثيق ويقيني، أو أن يتم الإفتراض وكأن الفدرالية عقوبة للسوريين؟ وهي كارثة ستجزء هذا الشعب المتجانس المتحد، الذي لم يعاني في تاريخه الحديث أي معضلة أو تمييز، فضلاً عن الإضطهاد السياسي!

مازال الرأي الراجح علميا يركز على أن حل المسألة السورية بشكل مستدام يتطلب فدرالية منسجمة، خاصة إذا تم التوافق على أحد أنسب صيغها. الفدرالية لا يمكن إلا وأن تأتي كمنجز سياسي، فالفدرالية مرتبطة عضويا بالتحول الديمقراطي في المجتمعات المركبة، كالمجتمع السوري، ويبدو أنه ضمن الشروط الراهنة بدون تثبيت نظام ديمقراطي شاقوليا ونظام فدرالي أفقيا، لا يمكن الانتقال إلى الحل السياسي ولا عمليا إلى تناول السلطة نفسها، حيث من الضروري تفكيك سلطة الاستبداد جغرافيا في المقام الأول، وليس عسكريا فقط.

إن العمل على تفكيك وتفتيت ظاهرة الاستبداد السياسي في سورية تقتضي بالضرورة توزيع السلطات، وتأسيس الأقاليم المنسجمة مع الواقع السوري، هذه الأقاليم التي تشكل مفتاحا للديمقراطية والتنمية، وأحد أهم سبل سد الطرق على تمركز السلطة وعودة الدكتاتوريات.

تبقى مخرجات ونتائج معركة الرقة على صلة وثيقة بالتناول الموضوعي للحل الفدرالي، ففي المحصلة التجارب العملية وحاجة السكان ومعاناتهم ستساهم في التقليل من هذا المستوى العالي للخوف من الفدرالية كشبح للتقسيم، كما أن ممارسات قوات سورية الديمقراطية ودرجة تألفها وتحالفها مع القوى المحلية في الرقة والجزيرة الفراتية، ستساهم في ترجيح أو إستبعاد مشروع الفدرالية في سورية عموما، وفدرالية الشمال على وجه الخصوص. علما أن المؤشرات الأولية لا تشجع على أن يتم تجاوب عربي في الرقة مع مشروع فدرالية الشمال، نظرا للحساسية الزائدة من أي بروز لسلطة كوردية في الجوار، وحيث أن الثقافة السياسية للنخب العربية قد تكونت في فضاء عدم تقبل أي حقوق للآخر، وخاصة الجار الكوردي الذي ترسخت صورته كمهاجر حينا، غازي ومحتمل حينا آخر، فالموقف المتشنج الذي أبداه مجموعة من النشطاء والمثقفين العرب، إبان الاستيلاء على منطقة تل أبيض التابعة لمحافظة الرقة من قبل قوات (وحدات حماية الشعب Y.P.G) لم يكن معادلا لممارسات هذه القوات، بل كانت تعبيرا حادا لرفض كل تقدم لقوات ذات صلة بالكورد، بصرف النظر

عن حقيقة تخليص تلك المناطق من الارهاب. إن هذه الآراء والعديد غيرها التي برزت وتوثقت في سنوات الحرب السورية الراهنة ترجح الاعتقاد بأن الثقافة السياسية للنخب العربية السورية غير مهيأة لتفهم الحقوق والمطالب الكوردية ولا تؤمن بالشراكات الجديدة، خاصة إذا كانت تحت مسمى الفدرالية، فضلا عن مواقف رافضة لأي تشكل أو تبلور لسلطة كوردية، أو أي كيان كوردي فدرالي شمال سورية، مهما كانت المبررات الواقعية والتاريخية، ومهما كانت درجة تعاونه مع الوسط العربي المجاور.

إن البيان الذي صدر عام 2015 ووقع عليه حوالي 41 منظمة، ناشط ومثقف يدل من خطابه على أن النخبة العربية السورية مازالت تنهل من الفكر القومي العروبي اليقيني، الذي يتصف بعدم قبول الآخر، وعدم تفهم أي حق كوردي في مناطق شمال سورية وغير قادر على أن يؤسس للتحالفات وللكيانات السياسية الادارية الجديدة. خطاب البيان قطعي يترجم بصيغة معاصرة شعار: «الأرض بتتكلم عربي»، بصرف النظر عن مواقفهم الشخصية المعتدلة ورؤاهم السياسية الليبرالية حيناً والاشتراكية حيناً آخر.

فقد ورد في نص بيان الادانة لضم منطقة تل أبيض إلى الادارة الذاتية: «انفردت ميليشيا ما تُسمى وحدات حماية الشعب اليوم 21 تشرين الأول 2015 بخطوة جديدة في مسار خلق كياناً إدارياً يمتد على طول الحدود السورية الشمالية؛ تمثّلت بإلحاق جزء من تل أبيض، في محافظة الرقة، ببلدة رأس العين التابعة لمحافظة الحسكة شرقاً وإلحاق جزءاً آخرأ ببلدة عين العرب في ريف حلب غرباً في محاولة لتغيير هوية المنطقة إدارياً وسياسياً وسكانياً. إن تغيير التبعية الإدارية لمنطقة تل أبيض، بعد اكتسابها بالقوة، هو إجراء قصير النظر ويهدد وحدة التراب الوطني السوري ووحدة الشعب السوري، وهو إجراء باطل ومرفوض جملة وتفصيلاً، ولن يكتسب قبولاً أو شرعيةً ما دام قد فُرض من طرف واحد وبالاستقواء بقوى أجنبية. كما أن محاولة اختلاق واقعاً إدارياً وسياسياً، يُنكر وقائع التاريخ والجغرافيا والتوزيع السكاني بذريعة محاربة تنظيم داعش الإرهابي، هي مسعى دنيء وانتهازية سياسة تستثمر في عذابات

السوريين... ولذا فإن تسلق فاشية جديدة، ممثلة بمليشيات وحدات حماية الشعب متعددة الجنسيات، على جراح الوطن السوري لن يكون إلا تحدياً مضافاً يجب على السوريين مجابهته ومقاتلته الآن أو بعد حين».

و جاء في البيان «يؤمن موقعو هذا البيان أن إرادة أهلنا في تل أبيض، كما في كل بقعة من سورية، قادرة على كسب الرهان أخيراً مهما كثر المتكالبون وتنازعت الفاشيات وتطاول أصحاب المشاريع الصغيرة، فكل إلى زوال. عاشت سورية حرة أبية»<sup>(23)</sup>.

وبالموازاة من هذه المواقف السياسية والنخبوية، تم عملياً تهجير الكورد بعد سيطرة القوى الإسلامية المتطرفة، وبالتالي كانت أول خطوة سياسية ومحاولة لإلغاء أي وجود تاريخي للكورد داخل الرقة، علماً أن الكورد بحسب كل المصادر كانوا من مؤسسي الرقة المعاصرة منذ مطلع القرن الثامن عشر على أقل تقدير. تعرضت الرقة لعدة عمليات تهجير لسكانها الكورد في السنوات الأربع الأخيرة، كما طالت المسيحيين أيضاً.

التهجير الأول بدأ في آذار عام 2013 عندما استولت الفصائل الإسلامية المسلحة على المدينة، واقتصرت بشكل أكثر وضوحاً على العلويين والكورد. التهجير الثاني كان في حزيران عام 2014 عندما سيطرت داعش على الرقة، واقتصرت بشكل بارز على المسيحيين والكورد والعلمانيين وعائلات الجيش الحر.

التهجير الثالث والأخير بدأ في أواسط 2015، أي بعد خسارة داعش في كوباني، حيث اقتصرت على الكورد فقط. هذا وقد جرت في مرحلة حكم داعش اعتقالات بموجب الهوية (البطاقة الشخصية) للكورد، كما تم ترقيم منازلهم ومضايقتهم لدرجة طلب إخلاء المنازل، فهاجرت نسبة كبيرة منهم، حيث بقي من كورد الرقة عدد من العائلات لا يتجاوز 250 عائلة. في 22 حزيران 2015

(23) - بيان بخصوص الاجراءات الانفرادية من طرف PYD بخصوص تل أبيض. النص الكامل للبيان وأسماء الموقعون،

على الرابط: <http://almaf-sy.com/article.php?id=7057#.V7gWNv196Uk>

2016/8/20 آخر زيارة

بعد تراجع داعش في شمال الرقة قام ديوان العشائر في الرقة بإبلاغ جميع الكورد الموجودين فيها لمغادرتها بلباسهم فقط، دون أن يأخذوا أي شيء أو غرض معهم، إذ حدد لهم تدمير كوجهة، وبحسب بعض المشاهدات والمصادر فإن ما بين 190 و 205 عائلة تمكنت من الوصول لكوباني، وبناء على سياسات التهجير القسرية فقد هبطت نسبة السكان الكورد داخل مدينة الرقة من حوالي 20% قبل عام 2011 إلى لا شيء، أي مقارب للصفر، وذلك لأول مرة في تاريخ الرقة المعاصر عام 2016.<sup>(24)</sup>

لذلك مجمل المشهد السياسي والاجتماعي في الرقة وسورية لا يشجعان على الإفتراض بتقبل مشروع فدرالية الشمال، أو أي شكل إداري - سياسي آخر إتحادي بين العرب والكورد ضمن مجمل مساحة الجزيرة السورية.

## 11 - علاقة معركة الرقة مع عمليات تحرير الموصل

على اعتبار أن الموصل عاصمة دولة الخلافة التي أعلنها أبو بكر البغدادي، وحيث أن المدينة مدته بالمال والسلاح، تتمتع بقوة بشرية ومعنوية، فعلى الأرجح ستكون عملية تحرير الموصل ذات صلة وقد تكون متزامنة مع معركة الرقة. فالمشترك فيهما أن داعش تتمركز في المدينتين بشكل رئيس، فالجهة المحتلة والمسيطرة واحدة في المدينتين، كما أن القوات المهاجمة على الأرض ستكون في قوامها الرئيسي من الكورد، أي سكان الجوار الملتبس. إن جغرافية الموصل السياسية والاجتماعية ليست بعيدة عن الرقة والجزيرة الفراتية، لكنها عائدة إلى سلطة سياسية مركزية في بغداد يختلف واقعها وتقييمها السياسي والأخلاقي عن وضعية حكومة دمشق.

لذلك ثمة عوامل تسهل من تزامن المعركتين، وتوحد الجبهة المقاتلة ضد داعش، فتزامن المعركتين تسهل عسكرياً من هزيمة داعش، إلا أنها قد تولد

---

(24) - محمد هيتو، دراسة ميدانية للمتغيرات الديمغرافية في الرقة طوال السنوات الخمس الماضية. ورقة خلفية خاصة ببحثنا، جرت لصالح مركز رووداو للدراسات خلال شهري تموز وأب 2016.

ملابسات، سوء فهم وتحليلات خاطئة حول حقيقة الإنخراط الكوردي العميق في تحرير الموصل وبروز فعالية قوات البيشمركة، فقد يتم ربطها مع المشروع التحرري القومي الكوردستاني في حال كانت قوات سورية الديمقراطية هي المساهمة بشكل رئيس في معركة الرقة أيضاً. ربما يفسر هذا الدور الكوردي الرئيسي في معركتي الموصل والرقة معاً التحفظ التركي وكذلك تخبط حكومة أردوغان في تغيير موقفها حيناً والاصرار على مشاركتها المشروطة في المعركتين باستبعاد قوات ((Y.P.G) حيناً آخر. فقد تصاعدت المواقف التركية الهجومية حيث: «قال أردوغان في خطاب هذا الأسبوع إن تركيا ترغب أيضاً في المشاركة في عملية تحرير الموصل. وأشاد بنجاح عملية «درع الفرات» التي نفذها الجيش التركي ضد «داعش» في شمال سوريا، قائلاً إنه ينبغي القيام بتحريك مماثل في العراق. وقال أردوغان: «يشمل الحل لمشكلة الموصل الإصغاء إلى وجهة نظر تركيا واقتراحاتها المنطقيّة»<sup>(25)</sup>. ما يعني أن تركيا أيضاً تساهم في ربط معركتي الموصل مع الرقة وذلك لصالح أجنداتها الإقليمية، بل ثمة مؤشرات على أنها ستطالب بمزيد من الحقوق للتركمان في سورية والعراق، كستار لإستحضار حلمها القديم في ضم (ولاية الموصل) ولتعميق تدخلها ونفوذها المستقبلي في البلدين، فضلاً عن وضع حد للنفوذ الإيراني ولتحقيق نوع من التوازن الاستراتيجي لصالحها ولصالح حلفائها.

## 12 - مساهمة معركة الرقة في انهاء (الدولة الاسلامية)

قد تكون معركتي الرقة والموصل بداية النهاية للدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش)، عملية إزالة جغرافية ملموسة لها على الأرض، حيث يبدو أنه من الضروري جعل الدولة عائمة بدون أرض و«ولايات» فعلية ضمن حدود سورية والعراق. ثمة علاقة وثيقة بين مساعي ضرب داعش وإنهاء

(25) - سميح ايديز. مصدر سابق



وجوده كقوة على الأرض وإستمرارية احتفاظها بمناطق ريفية واسعة ومدن كبيرة، فإحتفاظها بالأرض هو أحد أهم عوامل قوتها الجاذبة للشباب، سواء من ناحية الثقل المعنوي لوجود دولة خلافة مشخصة على أرض الواقع، أم من زاوية تجنيد وتوسيع تغلغلها بين قطاعات واسعة من الحواضن الاجتماعية وإعادة تنظيم وتوجيه الجيل الشاب نحو العنف. بهذا المعنى تأتي معارك تحرير الرقة والموصل في صلب سياسات إنهاء داعش كدولة - مشروع خلافة على أرض الواقع ونسف أهم مرتكزاته الإدارية والاقتصادية، فضلاً عن قطع جذوره الذي مدها نحو عمق المجتمع الحاضنة الرئيسة.

مع ذلك ثمة آراء لا ترجح تراجع دور الجغرافية وفقدان المزيد من الأرض الحاسم في نهاية (داعش): «فليس ما يدعو إلى اعتبار أن خسارة الأرض وانتهاء الخلافة بصيغة الدولة سوف تقضي على أخطر ظاهرة جهادية شهدتها التوجه الإسلامي القطعي. فإن الإرث الأكثر إثارة للقلق في مرحلة ما بعد اندحار تنظيم الدولة يتجسد في أربع ظواهر تشكل كل منها تهديداً خطيراً للأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، وترافق كل منها كلفة فائقة الارتفاع لمواجهتها. وأولى هذه الظواهر هي الانتشار الجهادي العالمي. فأقول هذا التنظيم لا يعني انحسار القطيعات، بل أن توالدها وتفاقم شدتها من الأمور التي سوف تشكل خطراً مستمراً على استقرار المجتمعات ذات الغالبية الإسلامية أو دونها على حد سواء. وفيما أن إنزال الهزيمة بالتنظيم في العراق وسوريا هو أمر مطلوب، فإنه في غياب الإرادة الدولية للتصدي لمخلفات هذا التنظيم، فإن أي انتصار عليه في العراق وسوريا لن يكون إلا سراباً عابراً.»<sup>(26)</sup>

فداعش ستبقى على الأرجح كتنظيم مسلح وفكر جهادي وإن بلغ بها الضعف لتتخلى عن الأرض، ما يفتح السجال والتكهن حول شكل استمراريتها التنظيمي والعسكري المستقبلي.

(26) - حسن منيمنة، تفكيك إرث تنظيم «الدولة الإسلامية»، معهد واشنطن، على الرابط: <http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/disentangling-the-legacies-of-isis> 19 آخر زيارة، 2016/6/19

## • خلاصة ونتائج

أ- صفين الجديدة لم تعد صراعاً داخل بيت المسلمين بل هي تجسيد لروح الصراع الطائفي المعولم، في حركة نكوصية عكس الحداثة وتطور العالم المعاصر، وبقدر ما تحمل من ميراث الماض الصراعي العربي الاسلامي الثقيل بالقدر نفسه يحمل بين طياته جوانب من الصراعات المعاصرة التي لا بد منها كالقومية والاقليمية والدولية، ان «صفين الجديدة» هي أحد أبرز الاشارات لتراجع مجتمعاتنا إلى عهد الصراعات المذهبية السلطوية وابتعادها عن شكل الدول الحديثة وما يتطلبه من توافقات، انه ارتداد شديد عن مسار الحداثة في مجمل الشرق الأوسط وإن بصيغ غير ملموسة، وسيكون لهذا الإرتداد تأثير سلبي طويل الأمد.

ب- معركة الرقة تهدف لتشيت داعش ودفعه نحو الانزواء داخل النواة الصحراوية السورية العراقية، كما قد تمهد لعودة النظام إليها أو أي سلطة بديلة ترشحها وتزكيها قيادة التحالف الدولي وتكون قابلة للتفاعل مع رغبات السكان على الأرض.

ت- معركة الرقة قد تحدد مسار الحل السلمي في سورية وشكل سورية المستقبلية، خاصة في حال ترافقت مع رعاية سياسية ودبلوماسية إلى جانب العسكرية الأمريكية لقوات سورية الديمقراطية، وستؤثر تلك الرعاية والدعم السياسي على توسع وشرعية مجلس سورية الديمقراطي.

ث- معركة الرقة جزء من معارك ادارة المناطق الخارجة عن سيطرة داعش، هذه المعارك تنوس بين الفروسية الكوردية والاستغلال السياسي، حيث ستبقى مجرد فروسية جديدة تقوم بها طلائع المقاتلين الكورد المتطوعين لمحاربة داعش، إذا لم تكن النتيجة متوازنة سياسياً ولم تأتي لصالح الأهداف التي رسمت سابقاً، بحيث تكون متناسبة مع ضخامة التضحيات التي تقدمها

القوات الكوردية في سورية والعراق.

ج- قوات سورية الديمقراطية هي في كل الأحوال أفضل من الجيوش الأجنبية وأدرى بمعاناة أبناء المنطقة، فهي تأتي من الجوار القريب ذات العلاقة بالرقعة، نجاحها مرتبط بعدد وسوية المشاركين فيها من أبناء الرقة والجزيرة الفراتية، فدرجة تعاونهم وتشاركهم يهدد كثيرا للحلول المستدامة، كما أن المظلة السياسية (مجلس سورية الديمقراطي) ودرجة تحولها واحتواءها لقوى سياسية عربية وزعماء القبائل هو المعني بضبط العمليات ونجاحها سياسيا واداريا، في حين الرعاية الدولية الدبلوماسية الأطلسية - الخليجية ستزيد من فرص نجاح الحملة، والتأسيس لسلطة مدنية - اجتماعية محلية مستقرة.

ح- ثمة علاقة عضوية بين مساعي ضرب داعش وإنهاء وجوده كقوة على الأرض وإستمرارية احتفاظها بمناطق ريفية واسعة ومدن، فإحتفاظها بالأرض هو أحد أهم عوامل قوتها، بهذا المعنى تأتي معارك تحرير الرقة والموصل في صلب سياسات إنهاء داعش كقوة ضاربة ودولة ذات جاذبية تعبوية عالمية. خ- من المتوقع أن تسبب معارك التحرير دماراً كبيراً في البنية التحتية وتزيد من أعداد الضحايا من السكان المدنيين، خاصة إذا تم القصف الجوي داخل المدن، وتجربة كوباني تثبت ذلك.

د- إن معركة الرقة تفرض ضرورتها من جوانب عدة، فكرية وايدولوجية، سياسية، عسكرية وأمنية في نهاية المطاف، وهي معركة تهدف للتخلص من ما تبقى من الرقعة الجغرافية التي تتموضع عليها (الدولة الاسلامية في العراق والشام)، وهي معركة حصرية لتخليص ما تبقى من المجتمعات العربية القبلية المعتدلة من هيمنة وانتشار الفكر الجهادي المتطرف.

ذ- إن المناخ العالمي الراهن مشجع على الصراع المذهبي - الطائفي، بعكس القرن الماضي، ففي ستيناته وبحرب مشابهة دعمت السعودية الأئمة الزيديين الشيعة في اليمن وساندتهم في حربهم على الجمهوريين المدعومين من مصر، في إطار «الحرب الباردة العربية» وذلك انسجاما مع روح ذلك العهد المستند على ثنائيتي الرجعي - التقدمي السياسية والأيدولوجية، في حين الصراع

المعاصر المتجسد في ظاهرة «صفيين الجديدة» يبدو أنه صراع مذهبي - طائفي ذات طابع معوم عابر للدول والقوميات.

ر- إذا لم تحقق معارك الرقة - الموصل وبالتالي حلب منجزا سياسيا لصالح شعوب المنطقة عموما، سورية والعراق خصوصا، إذا لم تؤسس هذه الحرب لأنظمة سياسية ديمقراطية تمكن المجتمعات المحلية من حكم نفسها وإختيار صيغ الحكم والادارة المناسبة لها، وبالتالي إذا لم تفتح الطريق لتأسيس نظم إتحادية ديمقراطية ولم تضع حد للسلطات الإستبدادية العسكرية - الأمنية فإن كل هذه الخسائر والتضحيات ستكون فقط وقودا لإحياء حروب ما قبل الحداثة، التي ستكون في المحصلة صراع أجوف لا يؤسس لشيء سوى للإنقسام والصراع نفسه، مهما إكتسبت من مسميات.

# معركة الموصل والرقّة وانعكاساتها على مستقبل العراق و سوريا

د. ماجد انور عشقي

رئيس مركز الشرق الأوسط

للدراسات الاستراتيجية والقانونية - جدة

1. المقدمة
2. خلفية المشهد
3. تأسيس دولة الخلافة
4. الموصل تاريخيا
5. كيف سقطت الموصل
6. الموصل وتركيا
7. الموصل والشيعة
8. الموصل بعد داعش
9. هل ينقسم العراق بعد داعش
10. معركة الرقة وتداعياتها
11. الخلاصة

## المقدمة

تساءلت جريدة (ديلى تلغراف) البريطانية كيف احتل تنظيم «داعش» مساحات واسعة في العراق و سوريا خلال ستة شهور فقط ليصبح التنظيم المسلح الأغنى في العالم خلال هذه الفترة القصيرة وأصبح اليوم على حدود تركيا العضو في حلف الناتو تماما كالولايات المتحدة وبريطانيا .  
وفي يناير من عام 2014 تمكن من إحكام السيطرة على مدينة الرقة السورية التي يسكنها 220 الف نسمة بعد معارك خاضها مع الجيش السورى الحر ، وجعلها عاصمة لدولة الخلافة في العراق والشام .  
وفي الشهر التالى للسيطرة على الموصل تمكن داعش من احتلال أكبر حقل نفطي في سوريا وبسط سيطرته على ثلثي العراق في الأنبار وتكريت ومحافظه نينوى، هل كانت هذه الاندفاعه بالقوة الذاتية التي يملكها التنظيم أم أنها إحدى القوى التي تتلاعب بها المحاور السياسية العالمية وتوجهها لتحقيق مصالحها ومخططاتها .

## خلفية المشهد

ذكرت جريدة (البايس) الاسبانية في تقرير عن الحرب الدائرة في العراق وسوريا يفيد بأن التسابق من أجل السيطرة على مسارات الطاقة هو أحد الأسباب الكامنة وراء تفجير الحروب المتتالية في سورية . وقد ظل السباق مستمراً من أجل بناء خطوط الأنابيب في مواجهة أثنين من أهم المشاريع الاقليمية.

في الجهة الأولى نجد دول الخليج العربي المتحالفة مع تركيا تدعمها الولايات المتحدة ، وفي الجهة الثانية نجد القوة الشيعية المنافسة إيران والعراق وسوريا تدعمها روسيا.

كما صرح وزير العدل التركي (بكير بورداج) بتاريخ 2016/6/21 أن القوى

الدولية الدينية ، أنشأت تنظيم داعش ليكون بلاء على المسلمين والإنسانية ، وهو مشروع دولي لتحقيق عداوة المسلمين للإسلام وابتعادهم عنه . وكرهيتهم لإخوانهم المسلمين الآخرين، وهناك هدف آخر من إنشاء التنظيم هو تأمين الظروف والأرضية المناسبة لتحقيق الأهداف السياسية للقوى التي أنشأتها في منطقة الشرق الأوسط ، يمكن القول إن الحرب الدائرة في العراق وسوريا ، إنما هي معركة بين المحاور الاقتصادية الدولية بالتحالف مع أعوانها القوى الإقليمية ، سعياً لتحقيق أهداف اقتصادية وسياسية توسعية.

## تأسيس دولة الخلافة

ذكرت تحقيقات (فورين بوليسي) أن بداية النشأة لداعش كانت في قرية (كفر حمرة) شمال مدينة حلب حينما طلب وفد من الجناح العراقي للقاعدة وربما كان البغدادي منهم -من الفصائل الجهادية الإنضمام إليه ومبايعته ، لإقامة الدولة الإسلامية ، لتمكين المسلمين من التوسع عالمياً ، وإقامة الحدود ، والمواطنة، والمؤسسات، والعمل البيروقراطي.

لان عمل الجهاديين قد ذهب هباء كله ، لأنهم لا يسيطون سيطرتهم صراحة على أراض خاصة بهم ، فإذا استطاعت هذه الدولة الإسلامية البقاء خلال مرحلتها الأولى إذاً يمكنها البقاء إلى الأبد .

بالنسبة لجبهة النصره وقائدها ابو محمد الجولاني ، كان هذا التطور كارثياً لأن هذا معناه نهاية القاعدة في سوريا ، فأمر أتباعه بعدم الإنضمام لداعش لكن 90% من المقاتلين في مدينة حلب إنضموا إليها بعد بضعة اسابيع .

حتى تاريخ مايو 2013 كان التنافس بين داعش والنصره ما يزال سلمياً لكن حينما رجحت كفة القوة العسكرية لداعش ، إنهمتها النصره بتقسيم الحركة «الجهادية» وإضعافها في سورية وفي التاريخ المذكور نشر الظواهري رسالة أكد فيها تأييده للنصره وعدم رضاه عن تأسيس دولة الخلافة ، فترجع أفراد كثر من النصره عن تأييد البغدادي وعادوا إلى منظمة النصره .

عندما وصل التوتر بين المعسكرين إلى ذروته بدأت النصرة و أحرار الشام والجيش السوري الحر بطرد داعش من إدلب ، ومن بعض أجزاء محافظة حلب ، وفي نهاية المطاف قرر داعش التخلي عن كامل منطقة شمال غرب سوريا وبسط سلطته في شمال سوريا وشرقها ولم تعد مناطق المنظمين متداخلة .

في 2 كانون الثاني 2014 أعد تنظيم داعش قافلة من مئتي عربية ممتلئة بالمقاتلين وعائلاتهم وبالأسلحة والرهائن الأجانب ، وثلاث حاويات ممتلئة بالمواد الكيماوية ، كانت قد استولت عليها من جبهة النصرة والفوج 111 وانطلقت جميعاً شرقاً باتجاه مدينة الرقة واحتلتها، ثم أعلنتها لاحقاً عاصمة للدولة الإسلامية. (المصدر: السفير بتاريخ 2016/8/22).

## الموصل تاريخياً

تذكر المصادر التاريخية أن الموصل كانت عاصمة الدولة الآشورية من سنه (-1080ق م ) تحت إسم نينوى وأطلق عليها العرب اسم الموصل لكونها همزة وصل بين نهري دجلة والفرات ، وقد استوطنها العرب والفرس منذ القرن الثالث قبل الميلاد وكانت مسرحاً للمعارك التي دارت بين الدولة الساسانية والرومان وبمساندة من القبائل العربية المحيطة بها دخلها المسلمون سنه 637 م وشهدت الموصل حروب الردة بعد أربع سنوات من هذا التاريخ وتمت سيطرة المسلمين عليها .

تعتبر الموصل ثاني مدينة في العراق بعد بغداد ويبلغ عدد سكانها هذه الايام حوالى مليون وثلاثمائة الف نسمة .

توالت على الموصل سلسلة من النكبات والحروب منذ ذلك التاريخ لأهميتها الجغرافية والإستراتيجية ووقوعها بين سواد العراق وبلاد الشام وهضبة الأناضول واتسم تاريخها بالصراع بين الامبراطوريات للسيطرة عليها كما تنازعتها الأسر الحاكمة في العصر الإسلامي فعرفت حكم الأمويين والعباسيين



والحمدانيين والسلاجقة والأتابكة وغزاها المغول التتار سنة 1233 م ودمروها وقتلوا أهلها.

سيطر عليها السلطان الثاني سليمان بن سليم في منتصف القرن الثامن عشر . وحاول الصفويون غزوها في عهد نادر باشا الصفوي سنة 1732 م بجيش يتألف من 300.000 مقاتل ودارت معركة هائلة استعمل فيها الجيش الصفوي القنابل والأسلحة النارية وانتهت بهزيمتهم عن أسوار الموصل التي بقيت تحت حكم الامبراطورية العثمانية حتى سنة 1918 تاريخ هزيمة الجيش العثماني أمام الانجليز الذين سيطروا عليها ومنذ ذلك التاريخ غدت الموصل ورقة للمساومة بيد الانجليز فقد ساوموا الحكم الملكي العراقي على قبول الانتداب ، وساوموا الأتراك على إلحاقها بدولتهم وأجروا استفتاء كانت نتيجة رفض العراقيين الإنضمام إلى الدولة التركية.

شهدت الموصل في العهد الملكي سلسلة اضطرابات من أبرزها ثورة الجيش سنة 1937 بعد اغتيال الفريق بكر صدقي رئيس الأركان في مطار الموصل ، وكذلك اغتيال القنصل البريطاني في ذلك التاريخ ، وشارك أبناء الموصل في ثورة رشيد عالي الكيلاني في 1942 وانقلاب الشواف 1959 . احتلت القوات الأمريكية الموصل سنة 2003 وتمكنت من محاصرة إبنى الرئيس العراقي عدي وقصي ، وقتلتهما في سكر بالموصل وفي عام 2014 سقطت الموصل بيد تنظيم داعش .

## كيف سقطت الموصل

لكي ندرك معنى سقوط مدينة الموصل بيد قوات داعش ، لا بد من معرفة الحالة السياسية والاجتماعية فيها.

سقطت الموصل بيد الجيش الأمريكي بتاريخ 1 ابريل 2003 أي بعد يومين من سقوط بغداد. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الموصل مركزاً للتمرد السني وتنظيم القاعدة ضد الشيعة. وظهرت عمليات اغتيال خارج القانون، واضطهاد

السنة. لكن هذا التمرد تراجع بشكل ملحوظ مع المشاركة المكثفة للسنة في الحياة السياسية بين عامي 2009 و 2010 ومع انسحاب القوات الأمريكية عام 2011 إنخفض عدد الخسائر في صفوف المدنيين مما يشير إلى أن القاعدة في طريقها إلى الانهيار.

### سياسات المالكي:

يقول تقرير رويترز: بعد الانسحاب الأمريكي، قام المالكي بحملة تطهير لقيادات الجيش العراقي من السنة والكورد، مما خلق تمرداً جديداً في الأوساط السنية استغله داعش ليكسب تعاطفاً محلياً. ووجد السكان في تنظيم الدولة الإسلامية منقذاً ومعادلاً للقوات الحكومية، وبدلاً عن فشل المالكي وحكومته في بناء أجهزة وطنية وظهر في الأجواء شحن طائفي ومناطقية وعنصري غير طبيعي.

وتلك المشكلات المتراكمة بين الكتلة السياسية السنية وحكومة بغداد منعت القوات من محاربة داعش في الموصل وصلاح الدين وأجزاء من كركوك.

### سقوط الموصل عسكرياً:

إن المدينة التي صمدت سنة 1732 أمام جيش صفوي قوامه 300 ألف جندي يقوده نادر شاه سقطت في 6 يونيو 2014 خلال ساعات معدودات فما هي الأسباب؟

عبرت قوات داعش إلى الموصل بجيش يتألف من 100 عربية و 400 مقاتل عصر اليوم الثامن. وحينئذٍ نشطت الخلايا النائمة التي كانت تعد بالآلاف وكثفت الهجوم الذي أظهر ضعف القوات العراقية، وهشاشة بنيتها العسكرية والاستخباراتية.

وأرجع الفريق جبار ياور، من وزارة البشمركة سبب الهزيمة إلى عدم وجود عقيدة قتالية مشتركة بين عناصر الجيش العراقي وضعف الاسناد الجوي.

وكان الخبر الأمني مجيد النعيمي قد صرح قبل سقوط الموصل بأن

التنظيمات الموالية لداعش كانت تتحكم في المدينة عن طريق تسليم أعضائها مناصب المسؤولية فيها. ويذكر من هذه المنظمات:

1- جيش المجاهدين السلفي

2- جيش رجال الطريقة النقشبندية (بقيادة عزت الدوري)

3- تنظيم أنصار السنة الجهادي

4- ضباط سابقون في الجيش العراقي المنحل

جعل المسؤولون الرسميون قائد الأمن الغراوي وعدداً من ضباطه كبش الفداء لهذه الهزيمة، ووجهت إليهم الإتهامات بالتقصير لكن هوشيار زيباري، وزير الخارجية الأسبق يقول «كان الغراوي ضابطاً يؤدي عمله ، لكن حظه تعثر مثل كثيرين غيره من الضباط كلنا علينا أن نتحمل بعض المسؤولية كل واحد منا». (موقع قناة الحرة - 20 نوفمبر 2014 هاني فؤاد الغراش).

## الموصل وتركيا

في عام 2009 زار الموصل (أحمد داوود أوغلو) وزير الخارجية التركي الأسبق وصرح مفتخراً: «في يوم من الأيام دخل أجدادنا هذه المنطقة وهم يركبون الخيول، وسيأتي يوم نعود نحن فيه إلى هذه المنطقة ولكن بمعدات حديثة». لقد اقتطعت بريطانيا الموصل من الإمبراطورية العثمانية قبل سقوطها طبقاً لهدنة خاصة شملت تقسيم إرث العثمانيين، وسميت «هدنة مندوس». ولأن الموصل أخذتها بريطانيا دون قتال، فقد بقيت محل جدل شديد. فقد اعتبرتها تركيا خارج نطاق الإتفاقات التالية من الحرب العالمية الأولى، أما بريطانيا فقد أضافتها إلى بقية الأقاليم العراقية طبقاً لشكلها الجديد عامي 1920 و 1924.

وكانت الموصل محل خلاف بين بريطانيا وفرنسا بعد معاهدة سايكس بيكو، وانتهت بالوقوع ضمن النفوذ البريطاني.

بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وخروج الموصل من سلطة الدولة العراقية

عزمت تركيا على التدخل في الموصل، وصدر بالفعل قرار من برلمانها بالمشاركة في قوات التحالف عام 2004، لكن الذي منع دخولها بعض فصائل المقاومة العراقية السنية، وهيئات دينية، وتيار القوميون والوطنيين، فتراجعت عن دخول العراق خوفاً من الفصائل السنية التي لا يمكن تبرير القتال ضدها. واليوم يتحدث الإعلام التركي عن ضرورة التدخل قبل ضياع الموصل لكن تركيا لا تملك أوقفاً لهذا التدخل، لأنها لم تحرص على صناعة أوراق للتدخل عسكرياً وسياسياً ودينيّاً، كما فعلت إيران. حتى الفصائل السنية التي قد تؤيد تدخلها أصبحت مهمشة سياسياً. والكلمة العليا اليوم للحشد الشعبي والقوات العراقية بتأييد من إيران.

علماً بأن تركيا تقيم علاقات استراتيجية مع إقليم كردستان الذي يرأسه مسعود البارزاني وتقوم بتدريب البشمركة والأسايش، وأرسلت عام 2014 قواتها إلى هذا الإقليم ثم أرسلت في شهر ديسمبر 2015 قوات إلى محافظة نينوي قرب مدينة الموصل وقوام هذه القوات 150 مجنداً تحت حماية 25 دبابة، وبعد اعتراض الحكومة العراقية بررت الحكومة التركية وجود هذه القوات، بأنها لصد خطر المنظمات الإرهابية وتعني بها داعش.\* موقع ساسة بوست الالكترونية يناير 2016.

## الموصل والشيعة

يرى كبار قادة الاحزاب والمليشيات أن دور الحشد في إستعادة الموصل مسألة محسومة وغير قابلة للنقاش. على حين يرفض زعماء تيارات سياسية سنية بالأساس، وكذلك نواب ومسؤولون محليون بمحافظه نينوى، قطعياً دخول المليشيات أرض المحافظة، مخافة تكرار الأعمال الانتقامية التي سبق لهذه المليشيات أن مارستها في مناطق سنية أخرى معتبرين أن الحشد سيكون عبئاً على معركة الموصل حيث سيوجهها وجهة طائفية تخدم تنظيم داعش بحد ذاته.

أعاد النائب السابق لرئيس الجمهورية العراقية أسامه النجيفي، طرح فكرة إقامة إقليم ضمن حدود محافظة نينوى التي تشهد بداية الحملة الهادفة إلى إستعادة مدينة الموصل من تنظيم داعش في معركة توصف بالمصيرية . وعلق بعض السياسيين على هذه الفكرة بأنها إختبار لفكرة إنشاء إقليم سني أوسع من محافظة نينوى ويشمل محافظة الأنبار ليكون بمثابة ستار سني عازل بين نظامي بغداد ودمشق الحليفين لإيران .

### الموصل بعد داعش

تدق اليوم طبول الحرب لتحرير الموصل من سيطرة داعش وتحرص القوى المتصارعة على أن يكون لها اليد الطولى في هذا التحرير ، ويمكن تعداد هذه القوى كالآتي :

1. القوات العسكرية الحكومية.
  2. قوات الحشد الشعبى .
  3. القوات الكوردية .
  4. القوات التركية .
  5. القوات والخبراء الأمريكان .
- وتتضارب مصالح هذه القوى طبقاً لأهدافها الاستراتيجية المرسومة وتنفيذاً لمخططاتها الدولية والإقليمية ومصالحها الاقتصادية والسياسية .

## هل ينقسم العراق بعد داعش؟

سيناريو تقسيم العراق ليس نظرية للمؤامرة ، أو دعوة للتخويف ، أو بدعة لأصحاب الأجندات الإقليمية والدولية ، بل سبق وأن ارتبط هذا المشروع بخارطة التقسيم في المنطقة. وليس من باب الاستهلاك والتكرار القول بأن فكرة تقسيم العراق خرجت من داخل إسرائيل، ولعل البعض من السياسيين العراقيين الذين استهوتهم تل أبيب قبل أو بعد 2003 وزاروها ، سمعوا ذلك مباشرة من بعض شخصيات الدولة العبرية الرسميين أو خبراء مراكز بحوث المستقبل ، حيث تم ترويج مشروع تقسيم المنطقة "طائفياً" كجزء من أمن كيانهم الصهيوني.

مشروع التقسيم سيصبح مطلباً في ظل الإحباط العام لدى العرب السنة الذي سيكون أكثر حدة خلال وبعد تحرير الموصل ، وتنظيف العراق من داعش ، بعد أن تحول سياسيوهم إلى شلل مصلحة متنازعة. الأميركيان كرسوا ذلك وكذلك الإيرانيون، ولم يسعوا إلى حل يقدم بديلاً جديداً من النخب العربية السنة النظيفة، ولم يتم وضع "الدينصورات السنة" في موقعها بمزلة التاريخ. أمام انغلاق أزمة العراق السياسية وهيمنة الفساد ، وعدم وجود استعدادات للتنازل وسط الطريق، لن يصمد العراق الموحد أمام عاصفة تقسيمه التي باتت تلوح في الأفق. (د. ماجد السامرائي - جريدة العرب 2016/08/30)

## معركة الرقة وتداعياتها

مدينة الرقة هي عاصمة محافظة الرقة ، ويكاد يصل سكانها المليون ، ومساحتها تبلغ سبعة آلاف ميل وستمائة ألف ، وتقع شمال ووسط سوريا وعلى الضفة الشمالية لنهر الفرات ، بمسافة 200 كم شرق مدينة حلب ، وتعتمد إقتصادياً على سد الفرات ، والزراعة ، وحقول النفط المجاورة ، بعد تاريخ طويل من الإزدهار بدءاً من الدولة العباسية ، سيطرت عليها قوات

المعارضة السورية المسلحة عام 2013 فكانت أول محافظة تخرج عن سيطرة الدولة السورية ، ثم انسحبت منها أمام تنظيم داعش ، الذي لا يزال يسيطر عليها حتى اليوم .

بدأت القوات الكوردية تشن هجوماً على داعش بالرقعة في الأسبوع الأخير من شهر مايو 2016 لتحريرها من داعش ، تحت غطاء جوي من قوات التحالف على مواقعهم بريف الرقة الشمالي ، فقد قامت قوات سوريا الديمقراطية بالهجوم تجاه المدينة معقل داعش في سوريا .

إنطلق الهجوم من مدينة كوباني ، وتل أبيض ، والجزيرة ، وريف بلدة عين عيسى ، والهدف هو السيطرة على مثلث تل أبيض ، وهي مدينة في الجزيرة العليا لسوريا تابعة لمحافظة الرقة يشكل بها العرب والتركمان %90 من سكانها ، وعين عيسى بشمال غرب مدينة الرقة دون التوغل في المدينة ، وقامت بالهجوم قوات سوريا الديمقراطية، بما فيها وحدات حماية الشعب الكوردي ، بالتنسيق مع التحالف الدولي ، والعشائر في الرقة ، وكثفت القوات الجوية الأمريكية ، قصفها من أجل توجيه ضربة لتنظيم داعش بمعقله في مدينة الرقة .

وهناك ما يقرب من 25 مستشاراً من الجيش الأمريكي بمدينة عين عيسى شمال الرقة ، يشرفون على تدريب المقاتلين الكورد من وحدات حماية الشعب ، وتتخذ الطائرات المروحية الأمريكية من معمل الأسمت بالقرب من قرية (خراب عشق) مقراً لها ، فتحول المكان إلى قاعدة تدريب عسكرية ، وقال وزير الخارجية الروسي بأن موسكو مستعدة للتنسيق مع الكورد و واشنطن ، لطرد تنظيم داعش من الرقة .

ومع الأسبوع الأول من شهر يونيو ، تقدم الجيش السوري تجاه الرقة مشتبكاً مع قوات داعش من الريف الغربي لمحافظة الرقة ، وبغطاء جوي روسي واستطاع الجيش السوري بسط سيطرته على قرية أبو العلاج ، وتلة السيرياتيل ، والتلال المحيطة ، وتبعد عن مفرق زكية بريف الرقة الغربي بمسافة لا تقل عن 7 كيلو ولا تزيد عن 9 كيلو .

حاولت القوات السورية التقدم إلى طريق الرقة حلب وبحيرة سد الفرات في الطبقة ، وفي نفس الوقت كانت قوات داعش تواجه هجمات واسعة على مواقعه بالريف الشمالي حيث ينفذ التحالف المكون من قوات سوريا الديمقراطية ، وعشائر محلية ، ووحدات من الجيش السوري الحر ، بدعم جوي من التحالف تقوده الولايات المتحدة . وأشارت وكالة سبوتنيك الروسية إن الجيش السوري سيطر على نقطة تقاطع الرصافه ، وتقع جنوب غرب الرقة ، ومخفر شرطة الطرق العامة على الطريق الدولي للرقة ، لتصبح قواته على مسافة 18 كم من تقاطع مدينة الطبقة.

قبل هذا الهجوم أعلن (غريب حسو) ممثل حزب الإتحاد الديمقراطي لأكراد سوريا في كردستان العراق : إن مدينة الرقة بعد تحريرها من داعش ستنضم للنظام الفيدرالي الذي أسس له الكورد في شمال سوريا ، وتحاول القوات الكوردية وحلفاؤها قطع الرقة عن الحدود مع تركيا التي تمتد عبرها قوات تزويد الإرهابيين بالتعزيزات والذخيرة . إن قوات التحالف الدولي بقيادة واشنطن ، تدعم تقدم القوات الكوردية باتجاه الرقة بغارات جوية مكثفة ، مع إن واشنطن ترفض فكرة النظام الفيدرالي في شمال سوريا .

في شهر مارس أعلن الكورد خلال مؤتمر (رميلان) بريف الحسكة عن تأسيس نظام فيدرالي يضم 3 مناطق تتمتع بحكم ذاتي ، أقامتها جماعات كوردية عام 2014 ، وأعلن المشاركون في المؤتمر أن المناطق المحررة سوف تنضم إلى النظام الفيدرالي وستسمى إتحاد شمال سوريا روجافا وسيكون فيه تمثيل لكافة الأعراق.

لقد تمكنت الوحدات الكوردية خلال أربعة أيام التي مرت على انطلاق الحملة لتحرير الرقه ، من إحراز تقدم بمسافة تقدر بستة كيلو مترات باتجاه المدينة ، وحررت ثماني بلدات وقرى من ايدي داعش الإرهابية.

إن خطة الولايات المتحدة تكوين قوة عربية كوردية مشتركة لتكون رأس حربه في عملية تحرير محافظة الرقة من داعش ، والهدف هو عزل المحافظة عن خطوط الإمدادات في الشمال مع تركيا وفي الرقة مع العراق ، لكن الخطط



تغيرت وتحولت قوات سوريا الديمقراطية إلى أقصى الشمال الشرقي في سوريا في محافظة الحسكة لمحاربة داعش .

إن أسباب التحول هو رفض حماية الشعب الكوردي خوض معارك بيئية ديمغرافية غير حاضنة لها لهذا حافظت القوات الكوردية على تواجدتها في البلدات الكوردية شمالى الرقة (تل أبيض) دون التوجه جنوباً حيث البلدات العربية ، كما أن ذلك يتفق مع رغبة واشنطن في جعل المعركة ضد التنظيم في العراق وسوريا موحدة ضمن حرب واحدة ، لهذا وجدت الإدارة الأمريكية ضرورة التركيز على الحسكة لملاصقتها الحدود العراقية ، وهناك سبب ثالث ، حيث تلاقت الرؤية الأمريكية مع الرؤية الكوردية ، إذ وجدت وحدات حماية الشعب الكوردية في الحسكة مغنماً كبيراً أكبر من الرقة حيث حقول النفط التي توفر لها مورداً مربحاً ، كما أن السيطرة على الحسكة تؤمن معاقل للكورد على الشريط الحدودي .

إن محاربة تنظيم داعش في الرقة تتطلب حسابات أخرى ، فالكورد غير قادرين وحدهم على محاربة التنظيم في الرقة ، وهو مطلب أمريكي تركي ، كما أن دخول الكورد قد يوحد صفوف داعش مع السنه في الرقة ، بسبب الأكتية العربية فيها ، مع أن الإدارة الأمريكية تعمل على التفوق للمكون العسكري الكوردي ، لكنها لا تمنع من توسيع دائرة المقاتلين العرب ، بضم مجموعات أخرى لقتال التنظيم ، مثل الجيش الثوري في الرقة ، وإدخال قوات كوردية من خارج وحدات حماية الشعب الكوردي ، و وحدات حماية المرأة و من بشمركة روجافا وهم الجنود الكورد المنشقون على النظام ممن تلقوا تدريبات في كوردستان العراق.

وتتفق واشنطن وأنقره على عدم حصر الوجود العسكري الكوردي بوحدات حماية الشعب YPG الجناح العسكري لحزب الإتحاد الديمقراطي PYD ، كي تكون السيطرة في الشمال الشرقي من سوريا بأياد متنوعة أثنيا ، تضم العرب والكورد بمجمل مكوناتهم السياسية للحيلولة دون خضوع الكورد لقوة واحدة تهيمن على القرار الكوردي بمفردها وتمارس سياستها ضمن أهدافها والحيلولة

دون بقاء القوات العربية وحدها ، فوجود قوات كوردية رديفة يمنع القوى العربية من الخروج على الهدف الأمريكي .

لقد عبر رئيس إقليم كردستان العراق مسعود البارزاني أمام وزير الدفاع الفرنسي ، عن استعداده للتدخل في الرقة السورية ، وأن هناك مفاوضات تجري حول ذلك مع أمريكا لإشراك قوات البشمركة في تحرير الرقة ضمن قوات مشتركة لمحاربة داعش مرتبطة بالتحالف الدولي.

إن هذه الخطوة قد تؤدي إلى أزمة بين المكونات الكوردية التي تتبع (المجلس الوطني الكوردي قى سوريا) المدعوم من كردستان العراق وتحظى بعلاقات جيدة مع تركيا ، وكانت وحدات الحماية الكوردية وحركة المجتمع الديمقراطي الكوردية هددتا بعمليات اعتقال وبالمواجهة في حال تم إدخال بشمركة روجافا إلى سوريا وترفض وحدات الحماية الكوردية وجود أي مكون عسكري كوردي خارج إمرته.

كل هذه التناقضات تسببت في تأجيل معركة الرقة منذ مطلع الشهر الماضي وهي نفسها التي يمكن أن تؤدي الى تغيير في التحالفات الكوردية مع القوى الاقليمية والدولية ، فالرقة من حيث توسطها بين الحسكة في الشرق وحلب في الغرب تعتبر عصب المنطقة الشمالية ، وهي الشريان الاساسي للتواصل الكوردي في سوريا.

في الواقع لايمكن تحرير الرقة والخلاص من داعش في سورية إلا عبر توافق دولي جديد يظهر أن جميع المتصارعين الإقليميين والدوليين حققوا إنجازا تاريخيا. لم تدرك السلطة السورية أولياً تلك المعادلة حين اطلقت الجيش السوري وحلفاءه باتجاه الطبقة والرقة لكنها فهمتها بعد ذلك ، وتراجعت نحو صراعاتها التقليدية بذريعة ابتعادها عن قواعد إمدادها اللوجستي ودعمها العسكري.

على حين نشهد هذه الايام القوى الكوردية وقد تجاوزت الخطوط الحمراء التي رسمتها تركيا لتتقدم هذه القوى غرب نهر الفرات. فالكورد أحسنوا الظن بحلفائهم الأمريكان ، وطمعوا في تأسيس كيان كوردي ، شمال سورية دون

عوائق أو مناطق عازلة ، وهذا القرار شبيه بإعلان الحرب ضد الدولة التركية والدولة السورية معاً.

وهذا ما يفسر التطورات الأخيرة التي أدت إلى التفاهم التركي السوري برعاية إيرانية، لوقف تقوم القوات الكوردية وإقامة حاجز كبير يفصل بين أحلامها الشمالية وذلك بدخول الجيش التركي إلى الأراضي السورية واحتلال مدينة جرابلس بعد التفاهم مع داعش على مغادرتها . كما أعلنت تركيا عن عزمها على مواصلة التقدم نحو الجنوب إلى مدينتي منبج والباب والسيطرة عليهما.

الخلاصة :

إن احتلال الموصل واحتلال الرقة ، وإعلان قيام دولة الخلافة في العراق والشام هو نتيجة لصراعات المحاور الدولية والحلفاء الاقليميين ، ولا يمكن اعتبار داعش ظاهرة اسلامية منعزلة عن هذه الصراعات والمخططات السياسية التوسعية التي أعلنها جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية في الستينات والوصول إلى تحقيقها (بتفخيخ الإسلام من الداخل) فالحرب الأمريكية التي شنها أوباما آثرت القيادة من الخلف ، وخوض معاركها بالبيادق الإقليمية فتحصد بذلك المكاسب دون دفع شيء من الخسائر البشرية والمادية . أما روسيا الاتحادية فقد وجدت لها المناسبة لتخرج من إطار الدولة الإقليمية إلى رئاسة القطب الدولي المناويء للولايات المتحدة وحلفائها، على أن يكون العراق وسوريا مسرحاً لإنجاز اهدافها تحت ستار الدفاع عن القانون الدولي وتأمين حدوده من الهجمات الإرهابية بحرب إستباقية تخوضها في أراضي الشرق الأوسط.

## الكورد وحلم الوطن القومي

### د. عايد المناع

أكاديمي وباحث سياسي - الكويت

الكورد أمة من أقدم وأعظم أمم غرب آسيا إذ يؤرخ للتواجد الكوردي (427-355) قبل الميلاد وتبلغ المساحة الجغرافية لهذه الأمة ما بين 409650 كم<sup>2</sup> - 500.000 كم<sup>2</sup> وهي مساحة تزيد على مساحة العراق وتبلغ نصف مساحة إيران، لكن هذه الجغرافيا المتزامية تتوزع بين عدد من الدول الإقليمية المحيطة والمجاورة لكوردستان الكبرى (194,400 كم<sup>2</sup> في تركيا ، 124,950 كم<sup>2</sup> في إيران، 72,000 كم<sup>2</sup> في العراق، سوريا 23,000 كم<sup>2</sup> تقديريا). هذه الجغرافية المقسمة بين الدول الإقليمية المشار إليها أنفا ينتمي إليها ما بين 30-35 مليون مواطن كوردي.

لن نبحت في أعماق التاريخ الكوردي وقيام إمارات وممالك وإمبراطوريات كوردية فهذه صفحات تاريخية شديدة القدم إنما سنناقش في هذه الورقة باختصار شديد وضع كوردستان الكبرى ما بعد اتفاقية سايكس بيكو 1918 ومؤتمر الصلح في باريس 1919 واتفاقية سيفر 1920 ومؤتمر لندن 1921، ومؤتمر لوزان 1923.

حاول الكورد التقرب من بريطانيا إذ أجرى الدبلوماسي الكوردي شريف باشا اتصالات مع الانجليز عام 1914 وعرض عليهم خدماته لكن الانجليز لم يستجيبوا له إلا بعد احتلالهم للعراق عام 1918 ، إذ التقى السفير بيرسي كوكس بشريف باشا لكن كوكس اكتفى بالاستماع فقط.

في عام 1916 تمخضت اجتماعات وزراء خارجية روسيا وبريطانيا وفرنسا عن ما عرف باتفاقية سايكس-بيكو والتي تضمنت تقسيم تركيا الدولة العثمانية التي أصبحت هزيمتها وحليفها ألمانيا تلوح في الأفق وبما أن القسم الأكبر من كردستان الكبرى كان خاضعا لسيطرة الدولة العثمانية فقد شمله التقسيم دون مراعاة للخاصية القومية للأمة الكوردية، لكن بالرغم من أن هذه الاتفاقية قد أحبطت آمال الكورد في تحقيق حلم قيام وطن قومي موحد إلا أن جهودهم (الكورد) تواصلت لتحقيق هذا الحلم الجميل، فقد بذلوا جهودا مضيئة لإيصال صوتهم إلى مؤتمر الصلح في باريس عام 1919، إذ خولت العشائر والجمعيات السياسية شريف باشا لتمثيلها وطرح مطالب الكورد المشروعة على المؤتمر. وقد قدم شريف باشا خريطين لكوردستان الأولى في 1919/3/21 والثانية في 1920/3/1 وطلب من رئاسة المؤتمر تشكيل لجنة دولية تتولى تخطيط حدود الإقليم الذي تتواجد فيه كوردستان وفقا لمبدأ القوميات لتصبح كوردستان تشمل المناطق التي تقطنها أغلبية قومية كوردية لكن بالرغم من إدانة رئيس مؤتمر الصلح جورج كليمنصو لتصرفات الدولة التركية تجاه الأقليات العرقية إلا أن الوضع لم يتغير بالنسبة للكورد غير أن تطورا فريدا حدث لصالح القضية الكوردية في معاهدة سيفر 1920 إذ نصت هذه الاتفاقية على تحقيق حل المشكلة الكوردية على مراحل وإذا اجتاز الكورد هذه المراحل وطالبوا بالاستقلال ورأت دول الحلفاء أهلية الكورد لذلك فإن الاستقلال يصبح أمرا واقعا وعلى الحكومة التركية الاعتراف بذلك وهذا أول اعتراف دولي بحق الشعب الكوردي في تقرير المصير، لكن معاهدة سيفر التي وصفها مصطفى كمال أتاتورك بأنها بمثابة حكم إعدام على تركيا، لم تتم ترجمة كلماتها إلى أفعال بل أن تركيا نجحت في مؤتمر لندن 1921 بمنع المؤتمر من اتخاذ قرارات تنزع سيطرتها عن الأقليات القومية وأهمها الكورد ليس هذا فحسب بل أن الحكومة التركية ألغت التزاماتها باتفاقية سيفر ونجحت في معاهدة لوزان 1923 بأن تعطي وعودا بمنح سكان تركيا الحماية التامة والحريات دون تمييز ولم تتم الإشارة إلى الكورد الذين اعتبروا هذه

الاتفاقية ضربة قاسية لطموحاتهم القومية.

يتضح من الاتفاقيات والمعاهدات والمؤتمرات المشار إليها آنفا أن دول التحالف الغربي (فرنسا، بريطانيا) التي هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وتقاسمت تركتها من الأقاليم والدول قد حرمت الكورد من الحق في تقرير المصير، بل إن الدول الغربية التي أبقت على كوردستان إيران على وضعها الذي تكرر بعد معركة جالديران (1514)، بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية فإنها (الدول الغربية) جزأت التركة الكوردية من الدولة العثمانية ما بين عدة دول مجاورة (تركيا-العراق-إيران-سوريا). وهنا نتساءل إذا كان الحلفاء الغربيون قد تقاسموا تركة الدولة العثمانية فيما بينهم فلماذا قسموا كوردستان الكبرى بين دول الجوار وإذا كانت تجزئة كوردستان الكبرى سابقة للتوغل الغربي في الشرق الأوسط فلماذا لم يأخذ الحلفاء مطالب الكورد بقيام وطن قومي كوردي على كل الأراضي التي تتواجد فيها أغلبية كوردية بعين الاعتبار؟ إن عدم قيام وطن قومي كوردي موحد في العصور السابقة للتوغل الغربي ليس مبررا منطقيًا لحرمان الأمة الكوردية من حقها في تقرير مصيرها وإذا كان مفهوما الإبقاء على تبعية المناطق ذات الأغلبية الكوردية في العراق وسوريا لحكومات هاتين الدولتين واللتين كانتا من تركات الدولة العثمانية فلماذا لم يجبر الحلفاء المنتصرون تركيا المهزومة في الحرب العالمية الأولى على رفع يدها عن المناطق ذات الأغلبية الكوردية والتي كانت هي محور المطالب القومية للزعامات الكوردية؟

باعترافنا أن الحلفاء فضلوا تجزئة كوردستان الكبرى جغرافيا وسكانيا إلى ما هو أسوأ مما كان عليه الوضع قبل التوغل الغربي ربما للأسباب التي تطرقت لها اتفاقية سيفر 1920، وهي عدم الأهلية السياسية وتجنبًا لإستفزاز القوتين الإقليميتين الكبيرتين تركيا وإيران.

لقد جرت بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945) أكثر من محاولة كوردية لتغيير الأمر الواقع وقد يكون من أهمها قيام قاضي محمد ومصطفى البارزاني بإعلان استقلال جمهورية مهاباد في 22 يناير 1946 في كوردستان إيران، لكن

عمر هذه الدولة لم يدم أكثر من 11 شهرا ، ودفن قاضي محمد حياته ثمنا لذلك حيث تم إعدامه.

في العراق خاض الكورد صراعات مسلحة ضد سيطرة حكومة بغداد وبعد عقدين من الصراع المسلح توصل الطرفان العراقي العربي والكوردي إلى اتفاقية 11 آذار 1970 للحكم الذاتي لكوردستان ، لكن يبدو أن طرفي الاتفاقية لم يلتزما بتنفيذها إذ تجددت المعارك بدعم إيراني للكورد لم يتوقف إلا بعد توقيع العراق وإيران على اتفاقية الجزائر في 6 آذار 1975 مما أدى إلى انهيار التمرد الكوردي لكن الحرب الثالثة ما بين الحكومة العراقية والكورد تجددت بعد نشوب الحرب بين العراق وإيران سبتمبر 1980 والتي استمرت ثمانية أعوام غير أن انشغال حكومة صدام حسين في الحرب مع إيران لم يشغلها عن قمع التمردات الكوردية. ولم يتسن للكورد العراقيين أن يتنفسوا الصعداء إلا بعد هزيمة جيش صدام حسين في حرب تحرير الكويت في 1991 ، إذ انتفض شمال وجنوب العراق ضد نظام صدام الذي كان رد فعله جهنميا غير أن قوى التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة وفرت للكورد حماية عسكرية أتاحت لهم أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وقد تعزز هذا الوضع بعد اجتياح الأمريكيين والبريطانيين للعراق في 9/ابريل/2003، إذ أصبح إقليم كوردستان أشبه ما يكون بالدولة المستقلة وقد أدى اجتياح ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) إلى تمكين الكورد في العراق من بسط نفوذهم على المناطق المتنازع عليها مع حكومة بغداد مثل كركوك وسنجار وغيرهما، كما أن الصراع مع داعش وفي سوريا عموما أتاح لكورد سوريا أن يظهروا كقوة عسكرية يمكن التعويل عليها في معادلة الصراع المسلح لكن مشكلة كورد سوريا قد تكون أكثر تعقيدا من مشكلة كورد العراق وتتمثل هذه المشكلة في حساسية تركيا الشديدة تجاه قيام أي كيان كوردي مستقل وذي حكم ذاتي مجاور لما تطلق عليهم أتراك الجبل وهي تسمية تنكيرية لمواطنيها الكورد وتدخل تركيا عسكريا في جرابلس السورية كان أهم أهدافه المعلنة هو منع «القوى الإرهابية» من الاقتراب من حدودها في إشارة واضحة

لحزب العمال الكوردستاني PKK والقوى الكوردية السورية المتعاطفة مع مطالب كورد تركيا.

إن قيام وطن قومي كوردي موحد لن يتحقق ما لم يتم إعادة رسم خرائط جديدة للشرق الأوسط ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ومن خلفها بعض الدول الأوربية وإسرائيل هي القوى المؤهلة عسكريا وسياسيا للقيام بدور سايكس- بيكو جديد، فإن إمكانية تحقيق حلم الوطن القومي الكوردي قد تتحقق جزئيا وبالذات في العراق وسوريا في حين سيبقى الثقل الجغرافي والسكاني الكوردي في تركيا و إيران ليس له من هذا الحلم إلا المطالبة بحكم ذاتي.

#### مراجع هذه الورقة:

- (1) اتفاقية سايكس- بيكو 1918
- (2) مؤتمر الصلح في باريس 1919
- (3) اتفاقية سيفر 1920
- (4) مؤتمر لندن 1921
- (5) مؤتمر لوزان 1923
- (6) محمد أمين زكي - تاريخ الدول والإمارات الكوردية.
- (7) مذكرة شريف باشا إلى مؤتمر باريس.
- (8) عبدالله محمد العلباوي - جذور المشكلة الكوردية.



## النظرة المستقبلية

### للأقليم السني في العراق

قراءة سعودية

---

د. عبدالله الشمري

باحث واكاديمي من المملكة العربية السعودية

سبتمبر 2016

بدأت مرحلة جديدة من العلاقات السعودية -العراقية بعد الإحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003م اثارت الكثير من المعضلات والتحديات أمام صانع القرار السعودي تمس مسائل أمنية وسياسية عليا مثل تداعيات تصاعد ظاهرة الطائفية السياسية بالشكل الذي يهدد وحدة الأراضي العراقي وبقاء العراق في كيان موحد وما يحمله من ترتيبات سلبية على الإستقرار الإقليمي وموقع المملكة في السياسات العربية بإعتبارها أحد أهم دول الجوار العراقي، بالإضافة إلى المسئولية الدينية للحكومة السعودية بخصوص ضبط هذه الظاهرة إنطلاقاً من موقعها القيادي في العالم الإسلامي ومن مبادئ سياساتها الخارجية التي تعتمد مبادئ التضامن الإسلامي والتوسط بين الفرقاء المسلمين لحل خلافاتهم. إرتكز القرار السياسي السعودي تجاه العراق بعد دخول الإحتلال الأمريكي على مبادئ فرضها المٌحدد الديني في السياسة الخارجية السعودية مثل:

التضامن الإسلامي وتوجيه المساعدات والتوسط لحل الخلافات بين المسلمين في تعامل الحكومة السعودية مع الخلافات السنية - الشيعية في العراق من دون تأييد طرف على حساب الآخر. كما إرتكز القرار السياسي السعودي تجاه العراق على مباديء فرضها المُحدد القومي العربي مثل التضامن العربي ووحدة الأراضي العراقية وضرورة إجراء مصالحة وطنية شاملة ومنع التدخل في الشؤون الداخلية العراقية من قبل دول الجوار العراقي مثل إيران وتركيا. مما يؤكد على أن السياسة الخارجية السعودية تجاه العراق لم تحكمها عوامل طائفية متمثلة في دعم العراقيين السنة على حساب الشيعة، وأنه من الصعب أن تلجأ الحكومة السعودية لمثل هذا الخيار لأنه سيؤجج ظاهرة الطائفية السياسية في العراق والتي تنعكس بالسلب على أمن وإستقرار السعودية وسياسة حكومتها الخارجية.

ولعب الإحتلال الأمريكي للعراق عام 2003م والذي أدى إلى إسقاط نظام الرئيس العراقي صدام حسين وحل حزب البعث ومؤسسات الدولة دور في التمهيد لإنشاء نظام سياسي جديد يعتمد على نظام المحاصصة والطائفية السياسية. والذي جاء كنتيجة لتزامن عمليات إحلال مؤسسات الدولة وإسقاط نظام حزب البعث العراقي مع تصاعد الهويات المذهبية (السنية-الشيعية) والهويات دون القومية (كردية-عربية)، ولجوء العراقيين إلى إتنمئاتهم المذهبية والعشائرية كبديل عن الهوية الوطنية العراقية بعد فشل النظام السابق في تحقيق مبدأ المواطنة الذي يقوم على المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات. حيث إتسمت الحياة السياسية العراقية والتنافس السياسي على السلطة بصبغة طائفية إتضح من خلال ظهور الأحزاب السياسية والتحالفات الإنتخابية في العراق على أساس ديني مذهبي أو دون قومي مثل حزب الدعوة وحزب المجلس الأعلى الإسلامي العراقي والتيار الصدري وتحالفهم الإنتخابي (الإئتلاف العراقي الموحد)، حزب الإتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني.

كما بدأت تستمد هذه القوى السياسية شرعيتها من المجتمعات التي تمثلها

مذهبيًا وهو ما أضعف مفهوم المواطنة في العراق بعد دخول الإحتلال الأمريكي، وظهرت خطابات سياسية تشير إلى توجه هذه الأحزاب لحشد أتباعها من الطائفة المذهبية أو الطائفة القومية خلف تحقيق أهدافها السياسية. حيث دعى حزب المجلس الأعلى الإسلامي العراقي أثناء إجتماعات الإعداد لدستور عراقي جديد لإعتماد النظام الفيدرالي في العراق وتقسيمه إلى ثلاث مناطق: المنطقة الجنوبية الشيعية (مليئة بالنفط تمتد من البصرة إلى كربلاء) وإقليم كردي (يضم الموصل والسليمانية ودهوك) وإقليم سني يضم شمال العراق. من ناحية أخرى إنعكست ممارسة الطائفية السياسية في السياسات التي إتبعتها الحكومات العراقية بعد إنتخابات 2005م التي أخرجت حكومة ألفها تحالف الإئتلاف العراقي الموحد وإنتخابات 2010م التي ألف حكومتها حزب الدعوة تؤكد سعي السلطة السياسية الجديدة في العراق على الهيمنة والبقاء في الحكم كممثل لطائفة الأغلبية (60% من الشعب العراقي ينتمون للمذهب الشيعي) وتهميش الطوائف السنية والكردية. فقد تم تعيين كبار قادة الجيش ومسؤولي وزارة الإعلام وكبار أجهزة الدولة من الطائفة الشيعية، وتم توسيع سلطات رئيس الوزراء ومستشاريه وسط تمييز ضد الطائفة السنية عبر إتهام الكثير من قادة العشائر السنية والساسة العراقيين بإنتمائهم لحزب البعث وبتهمة الإرهاب (مثل: طارق الهاشمي)، بالإضافة إلى المماطلة في دفع مستحقات حكومة إقليم كردستان العراق من إيرادات النفط العراقي، وتراجع الحكومة عن إتخاذ إجراءات المصالحة الوطنية بين الأطراف العراقية. ولعبت السياسة الخارجية الإيرانية في العراق دور محفز لتطور ظاهرة الطائفية السياسية ؛ حيث تركزت أهداف السياسة الإيرانية في العراق بعد 2003م على تقويض أي نظام سياسي عراقي جديد حتى لا يمثل تهديد أمني عليها مماثل لتهديد نظام الرئيس الأسبق صدام حسين ومنع ظهور نموذج سياسي وديني ناجح في العراق قد يعتبر بديل عن النظام السياسي الإيراني في المستقبل. وإستخدمت الحكومة الإيرانية أدوات سياستها الخارجية السياسية والعسكرية والثقافية الدينية لتفعيل هذه السياسة وتطبيقها في العراق والتي تمثلت في:

1) توفير الإستشارات للأحزاب العراقية الشيعية مثل حزب الدعوة الإسلامي الذي يتبنى أفكار الثورة الإيرانية وفكرة ولاية الفقيه، وحزب المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، وتدخلت لحل الخلافات بينهم وأقنعتهم بإنشاء تحالفات للمشاركة في عملية كتابة الدستور العراقي في يناير 2005م والإنتخابات البرلمانية التي تبعتها تشكيل حكومة الرئيس نوري المالكي (رئيس حزب الدعوة السابق) في أبريل 2006م وديسمبر 2010م.

2) توفير الدعم المالي والعسكري والتدريبي اللازم بواسطة قوات الحرس الثوري الإيراني للمليشيات الشيعية العراقية المسلحة التي تم إنشائها أثناء الحرب العراقية - الإيرانية (1980 - 1988) ثم عادت إلى العراق بعد 2003م مثل ميليشيا بدر (الجناح العسكري للمجلس الأعلى الإسلامي العراقي) والكتائب الأخرى مثل جيش المهدي التابع للإمام مقتضى الصدر وكتائب عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله العراقي وكتائب السيدة عائشة وكتائب الإمام علي . وقد إستغلت الحكومة الإيرانية دخول تنظيم داعش الإرهابي إلى مدينة الموصل وغاراته على مدينة بغداد عام 2014م في تجميع الميليشيات الشيعية تحت سقف واحد وهي قيادة الحشد الشعبي التي أصبحت جزء من وزارة الداخلية العراقية، إلا أن هذه القوات تستمد قوتها العسكرية والسياسية من قادتها وقوات الحرس الثوري الإيراني وليس من وزارة الداخلية العراقية.

3) الترويج للنموذج الإيراني في التشيع والأفكار الإيرانية المتعلقة بمبدأ ولاية الفقيه وجذب أكبر عدد ممكن من الأئمة للدراسة في مدينة قم بدلاً عن مدينة النجف عبر منح دراسية متعددة، بالإضافة إلى محاولتها التأثير في أعمال المؤسسات التابعة للمرجعية الدينية العليا في العراق (أية الله علي السيستاني) وإنشاء الحوزات المختلفة كشكل من أشكال القوة الناعمة لمدينة قم الإيرانية ومرجعيتها .

ويثير التصاعد المستمر لظاهرة الطائفية السياسية في العراق مجموعة من التدايعات والمعضلات أمام صانع القرار في السعودية تتمثل في تدايعات الطائفية السياسية.

أولاً: على أمن الخليج ونظمه وحال السلم الإجتماعي والتعايش السلمي بين الطائفتين السنية والشيعة داخل السعودية وباقي دول مجلس التعاون. ثانياً: الدور الذي تلعبه الطائفة السياسية العراقية في تصاعد التطرف والتشدد السني المتمثل في إنتشار الأفكار المتشدة لتنظيم القاعدة وتمدد تنظيم داعش الذين يستهدفون السعودية ودول مجلس التعاون بأساليب وطرق مختلفة ومدمرة.

ثالثاً: تداعيات الطائفة السياسية العراقية وتهميش الطائفة السنية العراقية على موقع السعودية في العالم السني وشرعية هذا الموقع بين دول العالم الإسلامي وأمام المواطن السعودي.

رابعاً وأخيراً: التداعيات السلبية حول مستقبل وحدة الأراضي العراقية وما قد يتبع هذا التهديد من حالة فوضى إقليمية وتقسيم للعراق ودول مجاورة له مثل سوريا والأثار المترتبة لذلك على حركة التجارة العالمية وأسعار النفط مما يؤثر على موقع السعودية العالمي كضامن للأمن والإستقرار الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط.

وتظهر معضلة أخرى في تصاعد ممارسات الطائفة السياسية أمام السياسة الخارجية السعودية ترتبط بموقع السعودية في العالم الإسلامي. حيث تثير حالة التهميش الممنهج والإنتهاكات التي تقع في حق السنة العراقيين وإستمرار حالة التوتر الطائفي في العراق إشكالية أمام الحكومة السعودية التي تستمد شرعية موقعها في العالم الإسلامي وفي منظمة التعاون الإسلامي بإعتبارها حاضنة للحرمين الشريفين وتوليها مسؤولية التوسط لحل الخلافات وحقن الدماء بين المسلمين وتبنيها مبدأ التضامن الإسلامي في سياستها الخارجية الذي يقوم على توجيه المساعدات ونصرة المستضعفين. كما يثير هذا الأمر إشكالية كبيرة متعلقة بصورة الحكومة السعودية في الداخل أمام المواطن السعودي، حيث تفرض هذه المعضلة على صانع القرار السعودي تقديم مبادرات التوسط لحل الخلافات داخل العراق والتشدد في وجه أي ممارسات أو إنتهاكات حكومية وغير حكومية تقع في حق السنة العراقيين.

وأخيراً هو إزدیاد تمثل الشكوك حول مستقبل وحدة العراق وبقاءه ضمن كيان موحد وإنعكاسات ذلك الأمر على السعودية معضلة أخرى تتركها ظاهرة الطائفية السياسية والطابع طائفي على الحياة السياسية في العراق. إلى جانب تداعيات إستقلال إقليم عراقي شيعي في جنوب العراق على الحدود الشمالية الشرقية للسعودية والتي تقارب المدن ذات الأغلبية الشيعية في السعودية، تظهر تداعيات إقليمية سلبية أخرى على السعودية من جراء وقوع سيناريو التقسيم. حيث تكتسب السعودية موقعها الهام في النظام الدولي والإقتصاد العالمي من منطلق أنها دولة تتبع سياسات تهدف إلى حفظ الأمن والإستقرار الإقليمي ومن منطلق أنها تلعب دور مسئول في حماية حركة التجارة الدولية عبر مضيق هرمز وباب المندب والبحر الأحمر وقناة السويس لإعتبرات موقعها الجغرافي وإعتبرها أكبر مصدر للنفط في العالم. فمن شأن وقوع سيناريو إنقسام دولة مجاورة للسعودية مثل العراق والتداعيات التي سترافقه من خلافات قد تستمر بين الأقاليم العراقية المختلفة وتصاعد الميليشيات المسلحة وأدوار الفاعلين من غير الدول إقليمياً أن يزيد الشكوك حول أهلية وإستحقاق السعودية لتحمل مسئولية حفظ الأمن والإستقرار الإقليمي، وأن يثير الكثير من التساؤلات حول مستقبل السعودية. من جهة أخرى، يرتبط تأثير تزايد الشكوك حول وحدة دولة عربية مجاورة للسعودية على موقع السعودية كفاعل عربي مؤثر في السياسات العربية والذي إزدادت أهميته وثقله عقب التغيير السياسي في مصر بعد 30 يونيو 2013م وإحتدام التدخل الإيراني والتركي والتدخلات الخارجية في شؤون الدول العربية.

في أعقاب سقوط نظام الرئيس العراقي صدام حسين والذي كان يعتبر خط الدفاع الأول في الجبهة الشرقية العربية أمام السياسة الإيرانية التوسعية في منطقة الخليج، أصبحت المملكة بحكم الجغرافيا وقدراتها البشرية والإقتصادية والعسكرية تمثل خط الدفاع العربي الأول في وجه السياسة الإيرانية منذ عام 2003م أكثر من أي دولة خليجية أخرى. وقد ساهم هذا الوضع الجديد في زيادة مسئوليات السياسة الخارجية السعودية تجاه الأمن القومي العربي

وزيادة تركيزها على المحيط العربي بشكل أكبر خاصة في بلاد الشام (لبنان وفلسطين) بالإضافة إلى مسؤولياتها التقليدية تجاه أمن وإستقرار دول مجلس التعاون. وبعد حركة الإنتفاضات العربية وأحداث التغيير السياسي في مصر عام 2011م وعدم تأثر السعودية بهذه الحركة، باتت السعودية تقوم بمسئولية ودور أكبر في مواجهة الأطراف الإقليمية التي تتدخل في الشأن العربي خاصة إيران وتركيا.

من جهة أخرى، تزامن الغزو الأمريكي للعراق وتداعياته الإقليمية مع تولي الملك عبد الله بن عبد العزيز زمام الأمور في المملكة في فترة مرض الملك الأسبق فهد بن عبدالعزيز في التسعينات وصعوده للعرش في أغسطس 2005، حيث يُجمع المختصين في الشأن السعودي بأن الملك عبد الله كان يتبنى توجهات قومية عربية أثرت في عدد كبير من قراراته الخارجية وسياسة المملكة حتى وفاته.

وقد ظهر محدد الطابع القومي العربي في تعامل السياسة الخارجية السعودية مع العراق من خلال معارضة الغزو الأمريكي للعراق في 2003م قبل دخول القوات الأمريكية، ورفض إستخدام القواعد العسكرية الأمريكية في المملكة لضرب العراق إلى أن تم إغلاقها في نفس عام الغزو، وإعتراض المملكة على لسان وكالة الأنباء الرسمية السعودية على قرار إعدام الرئيس الأسبق صدام حسين صبيحة عيد الأضحى عام 2006م ووصف المحاكمة القضائية له بأنها مسيئة وغير عادلة، وتصريح الملك عبد الله في القمة العربية عام 2007م بأن العراق تحت إحتلال أجنبي غير مشروع، كما تبنت المملكة موقف واضح من العراق في خطاب سياستها الخارجية المنشور على موقعها في صفحة الإنترنت أكدت فيه على أهمية ترسيخ وحدة العراق واحترام استقلاله وسيادته وعدم التدخل في شئونه الداخلية. كما تدعو إلى تحقيق المصالحة الوطنية الشاملة، ونزع سلاح الميليشيات، وإحياء مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، حتى يجد المواطن من يرعى شئونه ويقوم على مصالحه، وعدم المساس بالتوازن الاجتماعي إلي ساد العراق ونسيج التداخل والتأخي والتراحم

الذي يربط بين المذاهب والعشائر والمناطق العراقية. من ناحية أخرى حاولت السياسة السعودية تطبيق مبدأ التضامن العربي مع العراق عقب دخول الإحتلال الأمريكي إلى العراق، فقد أعلنت الحكومة السعودية عن تعهداتها بتقديم مليار دولار لدعم عملية إعادة إعمار العراق ضمن مؤتمر المانحين في مدريد عام 2003م. وإستقبلت الرياض رئيس الوزراء نوري المالكي في أول زيارة خارجية له في يوليو 2006م عقب توليه منصب رئيس الوزراء لأول مرة عام 2006م خاصة في ظل دعايته السياسية بأنه جاد في تحقيق مصالحة وطنية عراقية، وأولت الحكومة السعودية لهذه الزيارة أهمية كبرى وثمنت عدم ذهابه إلى دول إقليمية أخرى (مثل قيام سلفه إبراهيم الجعفري بالتوجه إلى تركيا كأول وجهة خارجية له)، حيث تمت إجتماعات جمعت كبار القادة في البلدين حضرها ولي العهد الأسبق الأمير سلطان بن عبد العزيز ورئيس المخابرات الأمير مقرن بن عبد العزيز وتم الإتفاق على إنشاء لجنة تنسيق عليا بين البلدين لبحث كافة المسائل العالقة بينهم. كما أعلن وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل إستعداد المملكة لتخفيض الديون المستحقة على العراق في عام 2007م.

سعت الحكومة السعودية إلى التوسط من أجل حل مسألة تشكيل حكومة عراقية بعد الإنتخابات البرلمانية في عام 2010م عبر دعوة مسعود البارزاني وعمار الحكيم وإياد علاوي لزيارة الرياض لتشكيل حكومة تحاول ضبط حدود الطائفية السياسية في العراق تحت قيادة رئيس الوزراء العراقي الأسبق إياد علاوي (ذي التوجه القومي العلماني) خاصة بعد الخلافات التي وقعت بين حزب المجلس الإسلامي وبين حزب الدعوة ودخولهم الإنتخابات البرلمانية في قوائم مختلفة في ظل تأخر تحقيق مصالحة وطنية وإزدياد ممارسات الحكومة الطائفية، إلا أن محاولاتها لم تنجح بعد حصول نوري المالكي على تأييد الحكيم والبارزاني بوساطة إيرانية. وبعد قطيعة دبلوماسية منذ عام 1990، قررت الحكومة السعودية تعيين سفير المملكة في الأردن سفير غير مقيم في بغداد في 7 مارس 2012م كبادرة حسن نية، ولم تعارض المملكة قرار مجلس



جامعة الدول العربية بعقد القمة العربية في بغداد في نفس العام لأول مرة بعد الإحتلال الأمريكي، إلا أن التصريحات المناوئة للمملكة من بعض الرموز السياسية في بغداد بخصوص الأوضاع في البحرين والكويت حالت دون حضور تمثيل سعودي رفيع المستوى إقتصر على مندوب السعودية لدى الجامعة العربية السفير أحمد القطان.

ومع إستمرار تصاعد ظاهرة الطائفية السياسية في العراق وممارسات الحكومة العراقية بتهميش وإقصاء السنة وتأجيج التوتر مع الأكراد، وتدخلات الحكومة العراقية في شئوت البحرين والكويت وإتهامها للمملكة بدعم الإرهاب، توترت العلاقات السعودية - العراقية وازدادت المطالبات الحكومة السعودية المتكررة بضرورة وقف التدخلات من دول الجوار في الشؤون الداخلية العراقية في المحافل الدولية ومؤتمرات القمة العربية والمؤتمرات الإقليمية المتعددة. حيث صرح وزير الخارجية السعودي السابق الأمير سعود الفيصل قائلاً في عام 2012م «أن التصريحات الإيرانية والتدخلات الإيرانية في الشأن العربي سبق وأن تحدثنا عنها تكرارا ومرارا، إيران تحاول أن تستغل الامور، وهذا واضح وغير مريح ولو كان تدخلها في صالح الدول العربية كان هذا مفهوما». كما صرح سعود الفيصل في آخر خطاب له أمام مجلس الشورى السعودي في 31 مارس 2015م حول العراق قائلاً: «عندما نتحدث عن بغداد، فنحن نتحدث عن عاصمة العروبة الجريحة التي قاست الأمرين، على أيدي زمرة من أبنائها مدفوعين من قِبَلِ أطراف خارجية تلهث من أجل إشاعة الفتنة والفرقة والتناحر، ولا تكف عن إرتكاب الجرائم وبث الكراهية وغرس الحقد في عاصمة الرشيد وملتقى الحضارات».

وقد رحبت الحكومة السعودية بترشيح رئيس الوزراء حيدر العبادي خلفاً لرئيس الوزراء السابق نوري المالكي في أغسطس 2014م وإتخذت الحكومة السعودية قرار بتعيين السفير ثامر السبهان سفير مقيم في بغداد في ديسمبر 2015م وأعلنت إفتتاح قنصلية لها في مدينة أربيل.

ومن جهة أخرى، ماتزال الرياض تعارض خطاب الطائفية السياسية المتصاعد

في العراق وبعض الأحزاب الدينية ذات شعبية كبيرة خطوات التقارب بين الحكومة السعودية والحكومة العراقية. ففي حين يؤيد المرجع الديني الأعلى آية الله علي السيستاني خطوات حيدر العبادي الإصلاحية ويطالبه بالأقف أمام من يعارض سياساته (والتي يأتي من ضمنها إستعادة العلاقات مع دول الخليج والسعودية)، أظهرت بعض الأحزاب الدينية الشيعية مثل حزب المجلس الأعلى الإسلامي والتيار الصدري ونواب عن بعض الميليشيات الشيعية في البرلمان العراقي إعتراضهم الشديد على تعيين السفير ثامر السبهان ورفضهم فتح السفارة السعودية في بغداد خاصة بعد إعدام نمر النمر وإزادات في مطالباتها وإنتقاداتها لسياسة السعودية الخارجية ومطالباتهم بدعم التظاهرات الشيعية في البحرين والحوثيين في اليمن. فيما كان البيان الديني الرسمي الذي أصدره السيستاني بمناسبة مقتل النمر يتصف بالتوازن، إذ تجنب تصعيد المواقف محذراً من إشعال الفتنة وتأجيج الصراع الطائفي القائم في المنطقة والعراق تحديداً.

كما ساهمت حالة النشاط الملحوظة في العام الأول من حكم الملك سلمان والتغيرات الغير مباشرة الإيجابية في الساحة العراقية في إحداث تحول لدى الرأي العام الإعلامي والأكاديمي السعودي في تناول الأوضاع في العراق. فبعدما كانت الفكرة السائدة في السعودية عن العراق بأنه خرج من الصف العربي وأن حكومته أصبحت بيد طهران، بدأت تظهر خطابات تنادي بضرورة إستعادة التواجد السعودي في العراق لمواجهة النفوذ الإيراني ومد العلاقات مع العشائر السنية والمرجعيات الشيعية الدينية التي لا تتبع ولاية الفقيه وتتبنى مبادئ عربية سياسياً وإقامة علاقات قوية مع أكراد العراق. في المقابل تتواجد أصوات تتحفظ على هذا التفاؤل مستدلة على تحفظها بأن محاولات الرئيس عبادي قد لا تنجح على المدى المتوسط وأن فرص نجاحه في ضبط حدود الطائفية السياسية في العراق وتطبيق مبدأ المواطنة ضعيفة.

الموقف السعودي والخليجي المُعلن بشأن وحدة العراق يؤكد الموقف الرسمي الحرص على وحدة العراق وسيادته واستقلاله وسلامته

الإقليمية. ودعمه لجهود العراق تعزيز الوحدة الوطنية، ودعوة جميع القيادات السياسية والأحزاب والمكونات العراقية إلى إنهاء حالة الانقسام السياسي وتوحيد الكلمة لتفويت الفرصة على التنظيمات الإرهابية والجماعات المتطرفة التي تسعى إلى بث التفرقة وإثارة الفتن الطائفية والنيل من أمن العراق واستقراره.

## 1. نسبة التأييد من قبل سكان الأقليم للإستقلال

طالما عارضت الطائفة السنية في السابق بشدة فكرة الأقليم و تعتبرها بداية لتمزيق و إنهاء العراق، ولكن ما مرت بها هذه الطائفة من التهميش و الاقصاء من قبل الحكومة العراقية بقيادة الأحزاب الشيعية جعلت غالب الطائفة السنية تغير أفكارها بالكامل و ترى أن الخلاص في فكرة الإقليم حتى أصبحت المظاهرات و الاعتصامات في الساحات العامة للمدن تطالب بإنشاء كما حصل في مظاهرات الرمادي في 2013/4/3 عندما طالب المتظاهرون بالإقليم وكان ذلك طلبهم الرئيسي و هذا كان دليلا على عمق التغيير الحاصل عندهم بسبب الظلم الذي تعرضوا له من قبل الحكومة المركزية، وبعد سقوط مدينة الموصل ثاني أكبر مدن العراق بيد تنظيم (داعش) في حزيران 2014 أصبحت مطالب السنة جديّة بالإقليم السني لأنهم اعتبروا القوات العراقية عاجزة عن حمايتهم بل تعتدي عليهم وبالتالي هم بحاجة إلى إقليم للحفاظ على وجودهم و الدفاع عن أنفسهم.

## 2. نسبة المعارضة من قبل سكان الأقليم للإستقلال؟

يعارض البعض من الطائفة السنية فكرة إنشاء إقليم سني مماثل للإقليم الكردي الموجود في العراق، ولديهم بعض الأسباب التي تجعلهم يفكرون

بهذه الطريقة منها أن الإقليم السني لا يمتلك مصادر التمويل الاقتصادي بخلاف المناطق الشيعية، وبالتالي تحتاج الى وجود مصدر إقتصادي كبير و دعم دولي كبير وهذا الأمر صعب التحقيق في هذا الوقت إلا بوجود ضمانات كافية من قبل الدول الداعمة لفكرة الإقليم تساعد فعليا الإقليم السني لتجاوز العقبة الاقتصادية وبدون ذلك يعارض هؤلاء فكرة إنشاء الإقليم و يفضلون الإدارة اللامركزية.

### 3. طبيعة العلاقات المتصورة مع الأقليم الكردي

يتصور أن العلاقات بين الإقليم السني و الكردي ستكون قوية بسبب دعم إقليم كردستان العراق للقيادات السنية واحتضانها لأغلب الشخصيات السنية والتي هربت من بطش الحكومة المركزية العراقية، وبالتالي فهذا التعاون و التقارب سوف يستمر في حال نشوء الإقليم السني، ولكن الإشكال الذي سوف يحصل هو تحديد المناطق المتنازع عليها بين العرب والكرد والذي يطالب الكرد بضمها لإقليم كردستان والتي تمتد من غربي الموصل مرورا بضواحي كركوك الجنوبية، والأجزاء الشمالية من ديالى والأجزاء الشرقية من الواسط، وتحديد هذه الحدود مع الإقليم الكردي قد يشكل مشكلة مستقبلية بين الإقليمين ولكن إذا اتحد الطرفان على الأمور المشتركة والمصالح المشتركة فيمكن الاتفاق على انهاء هذه المشاكل عن طريق الاستفتاء الشعبي للمواطنين الموجودين في هذه المناطق.

### 4. طبيعة العلاقات المتصورة مع الأقليم الشيعي

العلاقات بين الإقليم السني والشيعي لن تكون جيدة بسبب تراكم كمية الكراهية التي تشكلت بين الطرفين، وخاصة أن فكرة نشوء الأقاليم تأتي

بعد استحالة العيش المشترك بين الطرفين، ولكن طبيعة العلاقة المتصورة بين الطرفين هو كما يحدث بين الشيعة والسنة اليوم في العراق الموحد من عدم الثقة فهذا الأمر سيستمر حتى بعد نشوء الأقاليم، فالعلاقة بين الإقليم السني والإقليم الكردي سيكون أفضل وأقرب من العلاقة بين الإقليم السني والشيوعي بسبب حجم العذاب الذي تعرض له الطائفة السنية على يد الحكومة الشيعية الحاكمة إلا في حالة تقديم النزعة القومية على الطائفية ففي هذا الاحتمال يمكن اتحاد الطرفين ضد الإقليم الكردي وبالتالي يعود العلاقة بينهم لأن العدو سيكون مشتركا حينها وهذا احتمال ضعيف ولكن وارد.

## 5. طبيعة العلاقات المتصورة مع كلاً من:

### • العلاقات مع إيران

يعتمد الخطاب السني الحالي على مهاجمة الشيعة بشكل عام و إيران بشكل خاص و بأنها وراء كل مآسي السنة في العراق، وهذا الخطاب تزايد وتيرته بعد الاحداث الأخيرة و التدخل الإيراني المباشر في مهاجمة المدن السنية و اتهام ايران أصلاً بأنها ساعدت أمريكا في احتلال العراق و زرع عملاءها فيها، وهذه الاهتمامات لإيران والشحن الطائفي الموجود لدى السنة تجعل من وجود العلاقات بين الطرفين امراً صعباً، قد يكون هناك علاقات سطحية ولكن التعاون و العمل المشترك قد يكون شبه معدوم إلا اذا تغيرت العقلية الغالبة في الإقليم السني و فتحت باب الحوار و التقارب مع إيران.

### • العلاقات مع تركيا

تدعم تركيا الإقليم السني لأنه قد يكون ممراً سهلاً و آمناً لتصدير النفط و الغاز من دول الخليج عبر تركيا الى أوروبا بدل الناقلات لأنها مكلفة اقتصادياً و بطيئة من جهة أخرى، فمن الناحية الاقتصادية تركيا بحاجة الى وجود الإقليم

السني الذي يكون قريباً منها سياسياً، و من ناحية أخرى فإن طموحات تركيا بضم ولاية الموصل لا زالت موجودة فكثيراً نسمع تصريحات مسؤولين اترك بأن الموصل وكركوك أراضي تركية واخرها كان تصريح وزير الخارجية التركي السابق (داود اوغلو) الى كركوك عام 2014 حينما قال «كركوك قلب تركيا والترکمان مواطنون اترك» وأغلب السنة اليوم يعتبرون تركيا الدولة العثمانية الجديدة ولديهم ولاء مطلق لها وبالتالي فإن الإقليم السني سوف يحظى بعلاقات قوية جدا مع تركيا لوجود مصالح مشتركة عديدة بين الطرفين.

#### • العلاقات مع السعودية

سيكون للإقليم السني علاقات قوية جدا مع دول الخليج العربي بشكل عام، لأن دول الخليج تسعى لإبعاد النفوذ الإيراني عن العراق والمنطقة بشكل عام وأفضل وسيلة لذلك هو دعم الإقليم السني بكافة وسائل الدعم حتى تكون قوية منذ البداية عن طريق كل الوسائل الممكنة، والإقليم السني بحاجة إلى تكوين علاقات قوية مع دول الخليج العربي وخاصة المملكة العربية السعودية حتى يستطيع ان يبني نفسه و يستطيع النهوض وخاصة انه لايمتلك الموارد الاقتصادية التي يمكن الاعتماد عليها ولايمكنه الوقوف أصلا دون وجود الدعم السعودي وبالتالي فإن وجود العلاقة القوية بين الطرفين امر وارد جدا.

#### • العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية

في السابق كان السنة يحملون خطاباً شديداً ضد الأمريكيين بإعتبار أن أمريكا عدوة العراق و دمرت العراق بعد الغزو سنة (2003) ، ولكن تغير الخطاب اليوم بعدما قال احد القادة السنة البارزين الذي أراد عدم ذكر اسمه (ان السنة تدفع الثمن الآن بسبب عدم تعاوننا مع الولايات المتحدة الأمريكية، تم ارسال الدعوة لنا و لبعض القيادات الشيعية لزيارة واشنطن ، وهناك إنتقينا بالمسؤولين الأمريكيين وهم عرضوا علينا بعض الأمور، فنحن رفضنا التعاون معهم ، بينما القيادات الشيعية قبلوا التعاون و ربحوا الحكم في العراق و

تم تهميش السنة) فهو يذكر هذه الحادثة كدعوة لفتح صفحة جديدة مع أمريكا وخاصة يدركون ان فكرة الإقليم لا يمكن ان ينجح دون دعم او غطاء امريكي وبالتالي عدلوا من الخطاب نحو الأمريكان و باتوا يركزون على إيران و شرها وهذا ما يجعل التعاون واردا بين الطرفين.

# الوضع في روژآفای كوردستان

## التحدّيات الجيوسياسية

### د. سربست نبي

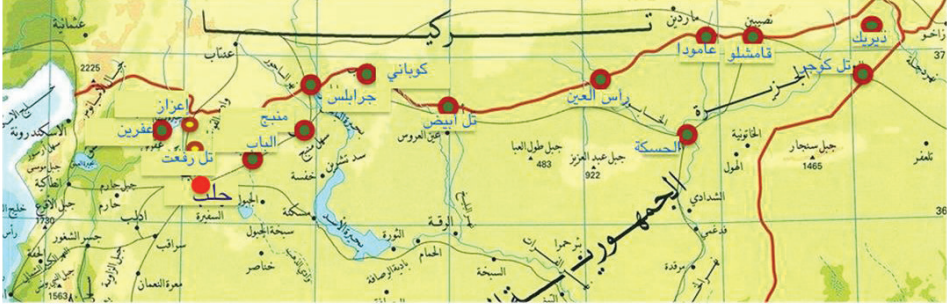
أكاديمي وباحث

### أولاً- توصيف

توالت في الشهور العشرة الأخيرة انتصارات قوات سوريا الديمقراطية، التي تشكل وحدات حماية الشعب، قوامها الرئيس، وامتد نفوذها إلى خارج حدود إقليم روژآفای كوردستان، وسيطرتها على مناطق ذي أغلبية عربية مثل شداي ŠEDDADÊ، التي تبعد 60 كم جنوب الحسكة HASAKE، وعلى مطار منغ MINNIGH العسكري (شرق عفرين EFRIN مباشرة 30 كم) وجنوب مدينة إعزاز EAZAZ. والمدينة الأخيرة باتت المنفذ الوحيد على الحدود التركية مباشرة، التي تحت سيطرة الجماعات الجهادية المعارضة المدعومة من قبل تركيا. غير أنها باتت الآن محاصرة من جميع الجهات باستثناء المنفذ الشمالي باتجاه الأراضي التركية، وهذه تبعد عن عفرين حوالي 40 كم. وسيطرت هذه القوات على مدينة تل رفعت TIL ERFAT 35 كم جنوب إعزاز. هذه المنطقة كانت حيوية بالنسبة للنفوذ التركي، نظراً لوجود بعض القرى التركمانية فيها،



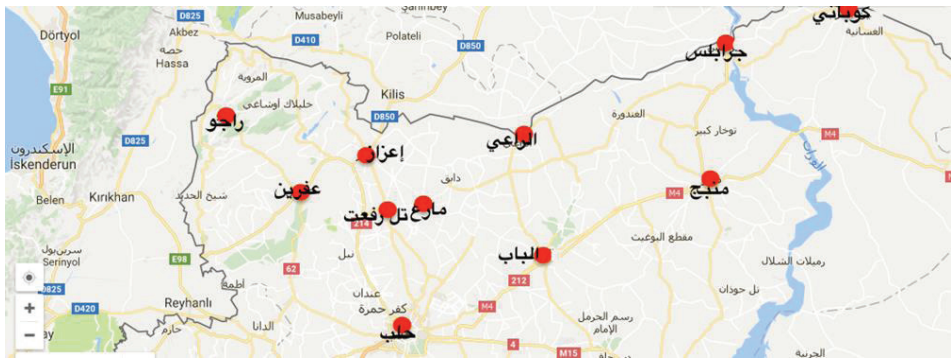
بالإضافة إلى ولاء العرب فيها للجماعات الإسلامية. وكانت تركيا تسعى بشتى السبل للهيمنة عليها ووضعها تحت حمايتها.



علاوة على ماسبق، أخذت تلك القوات تمتد نحو غرب الفرات ومقاطعة كوباني، وصارت تهدد بالسيطرة على مدينة Jarablis التي كانت تخضع لقوات داعش وتخفق رايتها السوداء في سماء المدينة على بعد بضعة مئات من الأمتار من مراكز الجيش التركي طوال ثلاث سنوات. حالت عوامل إقليمية ودولية عديدة دون تقدم قوات سوريا الديمقراطية نحو Jarablis وتحريرها، ووجدت هذه القوات نفسها تنحون نحو مدينة منبج MINBIC حتى تمكنت أخيراً من تحريرها بعد حصار طويل، ومن ثم شرعت بالتوجه نحو مدينة الباب BABÊ التي تفصل مدينة عفرين عن باقي المناطق الكوردية، وتشكّل الملاذ الأخير لإرهابيي داعش الذين لجأوا إليها بعد تحرير منبج وغيرها. إن الهدف من تحرير الباب وريفها ليس فقط تحقيق انتصار على إرهابيي داعش، أو فك الحصار عن مدينة عفرين وباقي مناطق (جيايي كورمينج)، إنما أيضاً فرض عزلة على قوات داعش في Jarablis وحصارها، ووضعها بمواجهة الطرف التركي مباشرة، قبل أن تتمكن القوات التركية عبر حركة استعراضية، الإدعاء بتحريرها ودخولها، مع قوات معارضة سوريا تأتمر بأمرها، في صفقة استلام وتسليم.

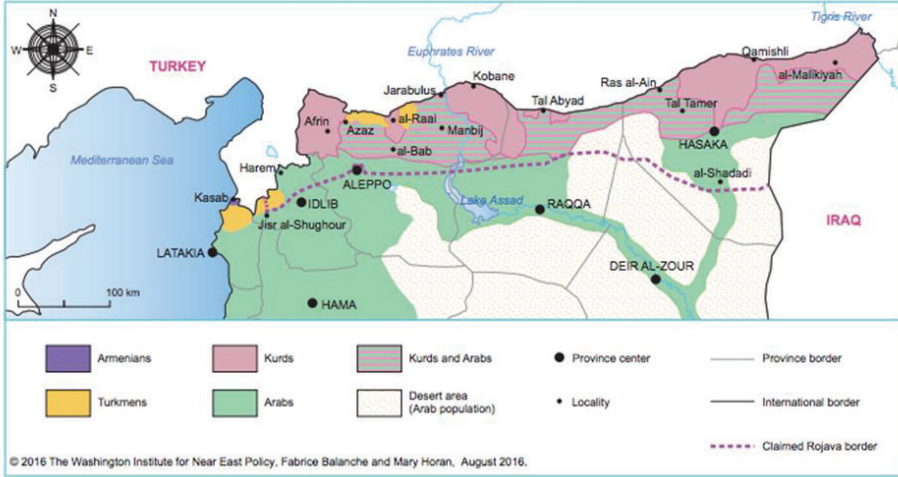
دون شك، كانت السيطرة التامة على هذه المناطق ستفقد إلى توحيد الإقليم

الكوردي من الجزيرة مروراً بـ كوباني KOBANĪ ووصولاً إلى عفرين، ويمهد بالتالي لنشوء نوع من الاستقلال الذاتي. فضلاً عن ذلك، كان من شأن هذه الخطوة أن تقطع صلة المعارضة تماماً مع تركيا، وتقوّض مشروع الأخيرة بإنشاء منطقة نفوذ آمنة تحت سيطرتها. وهذا الأمر هو الذي تسبب بالهستيريا السياسية الصارخة لدى النخبة الحاكمة في تركيا برئاسة أردوغان، قبل شهر من كرنفال تحرير جرابلس وتسليمها لجماعات جهادية أكثر صقلاً وأناقة في سيناريو بدا أنه كان معداً، بيد أنه كان فاضحاً ويثير سخرية المراقبين.



تشكّل بعد محاولة الانقلاب الفاشلة منعطف جديد في السياسة التركية اتجاه الأزمة السورية. فرض على الأتراك مقاربة جديدة وإعادة تنظيم لتحالفاتهم في ضوء المعطيات الجديدة، وإعلان خطاب أكثر تشدداً ورفضاً، إزاء المطالب الكوردية في غرب كوردستان، قائم على توحيد القول والموقف بشأن جميع خصوم رجب طيب أردوغان R.T.Erdogan من إنقلابيين وكورد و وضعهم في خانة الإرهاب مع الدواعش. ومن هنا راحت تركيا تعدّ العدة لاقتحام الشمال السوري وفرض إرادتها ووصايتها على الوضع هناك.

## Ethnic Divisions in Northern Syria



## ثانياً. المواقف والوقائع

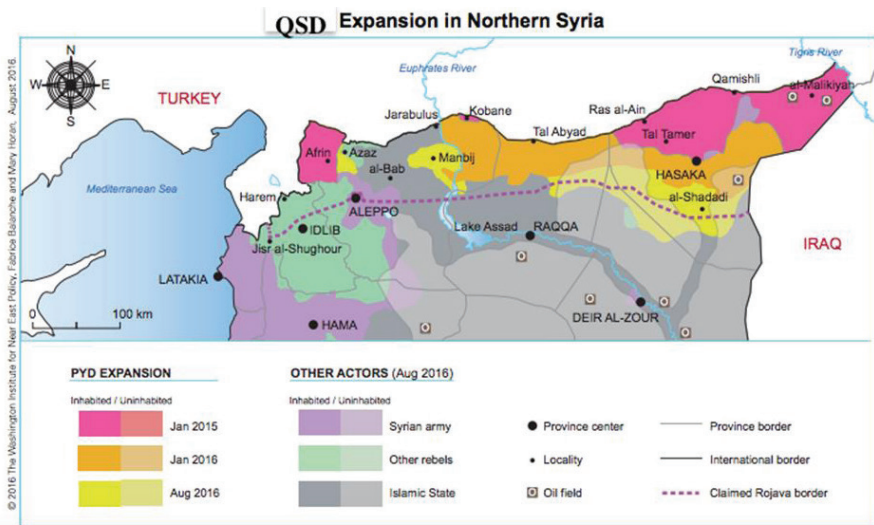
### - الولايات المتحدة

غضت الولايات المتحدة الطرف، على مضض، عن هذا التمدد الكوردي، ففي المحصلة هو يقوض مواقع الجماعات التي تعدّها إرهابية (داعش، جبهة النصرة، أحرار الشام) وفي معظم الأوقات ساعد سلاح الجو الأمريكي في التمهيد لتقدم وحدات الحماية الشعبية، وبخاصة في معارك تحرير جنوب الحسكة ومنبج، بالرغم من زوبعة الاحتجاجات التركية الرسمية وعلى لسان رئيسها ورئيس وزرائها. وفي هذا الوقت قام وفد من قوات التحالف الدولي بزيارة كوباني، وشارك في الوفد بريت ماكغورك Brett McGurk الممثل الشخصي للرئيس الأمريكي، الذي أظهر انطباعات جد إيجابية بحق القوات الكوردية ودورها في مواجهة الجماعات الإرهابية.

كانت ردود أفعال المتحدثين الرسميين للإدارة الأمريكية قويّة على تصريحات أردوغان المتشنجة حين طالب الولايات المتحدة بالاختيار بين صداقة تركيا وصداقة «إرهابيي كوباني» حسب وصفه. إذ أكد الأمريكان على مواصلة دعمهم لوحدة الحماية بوصفها قوة حليفة لهم. كذلك رفضوا بحزم اتهام

تركيا لوحدة الحماية بأنها وراء العملية الانتحارية الأخيرة في أنقرة، التي أودت بحياة العشرات من ضباط وجنود الجيش التركي. وفاقم هذا الأمر الفتور السياسي أو اللامبالاة، الذي أبدته الإدارة الأمريكية إزاء أزمة الانقلاب الأخيرة. وتعززت الشكوك وغياب الثقة بين الطرفين بشأن عدم استجابة الإدارة الأمريكية لمطالب الرئيس التركي بتسليم المعارض التركي المقيم في الولايات المتحدة فتح الله غولن Fethullah Gülen. وبالمقابل تلقت الإدارة الأمريكية بارتياح شديد وقلق اندفاع الرئيس التركي وحماسه اتجاه الروس والإيرانيين، بخاصة بعد تقديم أردوغان الإعتذار لهم عن اسقاط الطائرة الروسية، وزيارته لـ بيتسبورغ Petersburg للقاء بوتين.

راحت التصريحات الأمريكية، بعد تحرير منبج على يد قوات سوريا الديمقراطية، تتوالى بضرورة تحرير مدينة الرقة، أحد أهم قلاع داعش في سوريا والعراق بعد الموصل، اعتماداً على قوات سوريا الديمقراطية. إلا إن تصريحات نائب الرئيس الأمريكي بايدن أثناء زيارته لأنقرة، وبعد اجتياح تركيا وحلفائها لمدينة جرابلس، بضرورة انسحاب القوات الكوردية لشرق نهر الفرات، وإعلانه لنوع من المساندة إزاء التدخل التركي العسكري في جرابلس، أربك المشهد المتعلق بالسياسة الأمريكية الغامضة والمراوغة،



نوعاً ما، إزاء الوضع في شمال سوريا وطبيعة تحالفاتها.

بيد أن الحضور العسكري الأمريكي في سوريا، برز بصورة أشد وضوحاً على الأرض وفي الجو، أثناء المواجهات المسلحة التي اندلعت بين قوات النظام السوري وأنصاره من جهة أولى ووحدات الحماية الشعبية، في مدينة الحسكة، أواسط شهر آب من جهة أخرى. حيث لجأت قوات النظام، للمرة الأولى، إلى استخدام سلاح الجو في المواجهات على الأرض ضد الكورد. هنا راحت قوات الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة تعلن عن حضورها في الجو وفي الأرض وذلك عبر مسانبتها لمن أسمتهم بـ«حلفائها على الأرض» وأخذت تهدد طيران النظام السوري وتعرضه في السماء. هذا الحزم الذي أبدته الولايات المتحدة إزاء النظام عبر دعم القوات الكوردية، وإعلانها، بصورة غير رسمية، لمنطقة حظر جوي ونفوذ في محافظة الحسكة، يتعارض تماماً مع الموقف الهش الذي أعلنت عنه أثناء الهجوم التركي على جرابلس، الأمر الذي لا يمكن تفسيره إلا بوجود مقاربتين للموقف، تخضعان لرؤيتين جيوبوليتيكتين مختلفتين.

الدعم الأمريكي العسكري المعلن لوحدة حماية الشعب YPG، لا نجد ترجمة سياسية له أو حماسة مماثلة على صعيد مواقف الإدارة الأمريكية إزاء التمثيل الكوردي المستقل في مفاوضات أو محاورات المعارضة مع النظام في اللقاءات التي تتم برعاية دولية. إذ يصرّ الجانب الأمريكي على ضرورة التمثيل عبر وفد المعارضة للمفاوضات، الذي تشكّل في رياض برعاية تركية وسعودية. وهذه مفارقة أخرى في سلوك الإدارة الأمريكية إزاء القضية الكوردية خصوصاً والسورية عموماً. وبخلاف ذلك نجد أن تصريحات الخارجية الروسية تصرّ على الدوام بضرورة التمثيل الكوردي المستقل في لقاءات جنيف Geneva.

فضلاً عما سبق، شكل الموقف الأمريكي الملتبس، وغير الحاسم، بإزاء التمادي التركي، غطاءً للهجوم الأخير على جرابلس. ولحدّ هذه البرهة من الكتابة، ماتزال الإدارة الأمريكية تمسك العصي من الوسط بين الدولة التركية، التي لا يرغب الرئيس أوباما Barack H. Obama في أن يخسرها تماماً في هذا الوقت، لاسيما بعد انعطافة أردوغان السريعة باتجاه الروس والإيرانيين، وبين حلفائها

الكورد من قوات سوريا الديمقراطية. وقد سعت في الآونة الأخيرة إلى عقد هدنة - تنكرت الإدارة التركية له مراراً وتكراراً - بين الطرفين المتصارعين على جانبي الحدود، للحد من الصدام بين القوتين.

### - روسيا الاتحادية

إن أحد أكبر الأوهام السياسية، التي طغت على العقول الساخنة للمعارضة السورية منذ بداية الثورة، هي أنها اعتقدت أنه يمكن مقايضة موقع سوريا وأهميتها لدى الروس كما تمت مقايضة ليبيا ببعض الامتيازات الاقتصادية والنفطية، لقاء تخليهم عن دعم حليفهم التاريخي في دمشق. وكان هذا الاعتقاد ينم عن جهل فظيع بالمكانة التاريخية والجيوبولوتيكية لسوريا بالنسبة للمصالح الاستراتيجية الروسية. راهن هؤلاء فيما بعد على عامل الزمن في إحداث تحول في الموقف الروسي، أو الوصول إلى برهة يمكنهم إرغام الروس على التخلي عن نظام بشار الأسد. لكن هؤلاء تجاهلوا في واقع الأمر احتمالات اتساع المحنة الإنسانية، التي قد يتعرض لها السوريين، وهذا ماحدث بالفعل. إذ أن النظام بالفعل كان الأكثر استفادة من عامل الزمن، ومن هنا إزداد بطشه، واتسعت دائرة القمع لديه، وعمد أكثر إلى استخدام أشد الأسلحة فتكاً خلال ذلك. وبموازاته إزداد الروس تعنتاً إزاء التوجهات الدولية ومشاريع المجتمع الدولي الهادفة إلى حصار النظام واسقاطه. بل إن الروس عمدوا إلى خلق جبهة اقليمية وعسكرية أكثر قوة لنظام الأسد.

بعبارة واحدة، كان ينبغي الإدراك منذ البداية أن روسيا لن تسلم سوريا وشواطئ المتوسط لأي حليف لتركيا ودول الخليج، وأخيراً لأمريكا. روسيا لن تتردد في تسليم رأس بشار الأسد حين تجد بديلاً عنه على مقاسها. روسيا لن تقبل بأي نظام إسلامي في سوريا. تلك هي أقانيم ثابتة للموقف الروسي إزاء الحدث السوري.

شهدت العلاقات الروسية - التركية تصعيداً خطيراً، بخاصة بعد سقوط طائرة سوخوي Sukhoi الروسية من قبل القوة الجوية التركية. وقد وجدت روسيا



في هذا الحدث فرصة لتكريس هيمنتها العسكرية على الأجواء السورية وإرسال رسالة قوية للدول ذات العلاقة أنها صاحبة الكلمة العليا في الشأن السوري، وأن أية مبادرة سياسية أو عسكرية بهذا الخصوص، مالم تحظى بقبولها، ستقود إلى عواقب لاتحمد عقباه. كانت الرسالة موجهة بصورة خاصة للتحالف الإسلامي السعودي- التركي، الذي هدد بالتدخل البري في شمال سوريا وفرض ملاذ آمن هناك، ودعمًا لنفوذ المعارضة التي أخذت قواتها بالتقهقر أمام وحدات حماية الشعب .

استطاعت روسيا أن تهيمن تماماً على أجواء الشمال السوري، وتمكنت من لجم التمادي التركي والانتهاكات في السماء السورية إلى حد كبير، وفي تحذير صريح لمستشار الأمن القومي الروسي إلى تركيا والسعودية حذر قائلاً: أية حماقة على الحدود السورية-التركية تعني دمار كامل للبلاد المتورطة. من جانب آخر سمح الروس لممثلي الإدارة الكوردية بفتح مكتب تمثيلي شبه رسمي لهم في موسكو، في الوقت الذي راحو ينسقون مع الوحدات الكوردية على الأرض. كان الإغراء الروسي للأخيرة هو حماية الأجواء أثناء تقدمهم نحو غرب الفرات والمنبج وجرابلس بشرط فك ارتباطهم مع التحالف الدولي، الذي تقوده الولايات المتحدة. وواقع الحال فإن هذا الإغراء عجز عن تحقيق هدفه، وبخلاف ذلك توثقت علاقة القوات الكوردية مع قوات التحالف والولايات المتحدة أكثر أثناء معركة تحرير منبج. ويبدو لي أن الهدف الروسي الأساس من وراء تعاطيه مع الوحدات الكوردية هو تهيئتها قدر الإمكان عن الصدام أو المواجهات المحتملة مع النظام، والحوؤل دون اصطفاها مع أية قوة مسلحة أخرى معارضة للنظام مستقبلاً.

بإزاء ذلك وازب المسؤولون الروس التأكيد، في جميع المناسبات، على ضرورة التمثيل الكوردي المستقل في أيّة مفاوضات محتملة بشأن الحلّ في سوريا وتحديد مستقبلها. إلا أنه بات واضحاً بعد الاعتذار الرسمي التركي للروس وزيارة أردوغان لـ بيتسبورغ ولقائه بـ فلاديمير بوتين، أن ثمة مرونة روسية وتفهم اتجاهه هواجس تركيا وقلقها بإزاء الهيمنة، التي تفرضها القوات

الكوردية وحلفاؤها على طول المناطق الشمالية المتاخمة للحدود التركية. برز ذلك بوضوح شديد في الموقف الروسي الرخو إزاء الاجتياح العسكري التركي لمدينة جرابلس. ولربما كان ذلك من باب الرغبة في احتواء نزق أردوغان السياسي نحو الغرب والولايات المتحدة، والعزلة السياسية التي يعيشها مؤخراً. علاوة على رغبة الروس في المراوغة معه وابتزازه إلى أقصى حدّ بهدف انتزاع تنازلات تركية عميقة في الملف السوري، وهذا ما أظهره الساسة والقادة الأتراك في استعدادهم للتفاهم مع النظام السوري وإعادة النظر في كل ماجرى خلال السنوات الخمس الأخيرة. ناهيك عن إعلان رئيس الوزراء التركي ووزير الخارجية من أن بشار الأسد هو جزء من الحلّ المحتمل في سوريا، وحتى شريكاً في المرحلة الإنتقالية. وليس لدينا شك في أن التهاون الروسي، غير المتوقع، إزاء اجتياح القوات التركية وحلفائها للأراضي السورية واحتلالها لمدينة جرابلس ومحيطها، ما كان ممكناً من غير وجود مساومات خفية وتنازلات تركية جذرية، على صعيد ملف المعارضة السورية الموالية لها، وعلى صعيد أجندة الحل السياسي، للجانب الروسي.

## - تركيا

كشفت وقائع الشهور الأخيرة والمواقف السياسية لممثلي الدولة التركية، عن أن الغرض الرئيس لتدخلها المباشر وغير المباشر في الشأن السوري، لم يكن الهدف منه إسقاط نظام بشار الأسد أو استمراره بقدر ما كان هو الحؤول دون تشكل كيان كوردي في الشمال السوري (غرب كوردستان) على غرار إقليم جنوب كوردستان، وهذا ما أفصح عنه ويعلنه بصورة دائمة، ودون تردد، الرئيس التركي أردوغان وفريق حكمه. ولم يكن هدفه من استقبال الملايين من اللاجئين السوريين سوى ابتزاز الجانب الأوروبي والقبول بشروطه السياسية، وفي هذا السياق، فقد ذكر تقرير للشرطة الأوروبية إن عائدات تهريب البشر اللاجئين من تركيا إلى أوروبا بلغ 6 مليارات دولار عام 2015، ذهبت معظمها إلى جيوب شركاء في القيادات الأمنية والسياسية التركية،



وذلك بحسب العديد من المصادر.

لم يكن الهدف العسكري من مشاركة تركيا في التحالف الدولي هو محاربة داعش والجماعات الجهادية الأخرى، وقد صرح الرئيس التركي لمراتٍ إن من أولويات سياسته هو محاربة PKK و PYD و YPG وأخيراً محاربة داعش. وقد كشفت وقائع معركة كوباني عن حجم التعامل الأمني العميق بين المؤسسات الأمنية التركية وتلك الجماعات الجهادية، فضلاً عن الفضائح التي كشفت عنها الصحافة التركية المعارضة والصحافة العالمية. وجسّد غزو الجيش التركي واجتياحه للأراضي السورية أخيراً هذا التوجه بوضوح صارخ.

ومن المثير للإستغراب إن وجود داعش، وجبهة النصرة والجماعات الجهادية الأخرى، طوال ثلاث سنوات بجوار حدود تركيا الجنوبية، وهي تسيطر على مناطق شاسعة من الشمال السوري، لم تثر حفيظة تركيا ولم تشكل تهديداً لأمنه القومي، إلا حينما عمدت القوات الكوردية إلى تحرير تلك المناطق وراحت تدحر القوات المتطرفة وتلاحقها من موقع إلى آخر، عندئذ راحت حكومة AKP تثير الزوابع والأزمات وتدفع بقواتها لقصف المناطق الآهلة بالسكان، بذريعة حماية حدودها وأمنها القومي، حتى انتهى بها المطاف أخيراً لاجتياح مدينة جرابلس واحتلالها عبر جماعات جهادية معدّة ومعدّلة لهذه الغاية.

عانت السياسة التركية في الشهور الأخيرة، قبل غزو جرابلس، تخبّطاً واضحاً تجلّى في التصريحات التي أطلقها الرئيس التركي ورئيس حكومته حينها داوود أوغلو Ahmet Davutoğlu بشأن التطورات الأخيرة في غرب كوردستان. وعكست تلك التصريحات عن يأس العقل السياسي الحاكم وصناع القرار عن التحكم بمسارات التغيير في سوريا، وبخاصة تلك التي تصب في مصلحة تقدم الكورد. ومردّ هذه التصريحات النارية برأينا كانت عوامل عديدة منها:

- صعود الدور الروسي العسكري بصورة قوية ودعمه لقوات النظام والقوات الكوردية التي حققت انتصارات قوية وسريعة على حلفاء تركيا في الشمال. وبالمقابل لجم الدور العسكري التركي الذي كان يعدّ نفسه للتدخل المباشر في

الشمال السوري دون الاكتراث لأي قرار دولي.

-تقدم القوات الكوردية واكتساحها للشمال السوري غرباً وجنوباً وتشكيل قوات سوريا الديمقراطية التي يراد لها أن تكون معارضة عسكرية بديلة عن الجماعات المعارضة الإسلامية الموالية لتركيا والسعودية.

-خسارة تركيا لسمعتها السياسية لدى الرأي العام العالمي، بوصفها الجهة الداعمة الرئيسة للجماعات الجهادية في سوريا.

-فقدان الثقة بسياسات الرئيس التركي، الداخلية والخارجية، لدى صناع القرار الأوروبي والأمريكي.

-الانتفاضة الكوردية، التي أخذت تنتشر في مدن شمال كوردستان Bakurê Kurdistan، وفشل العملية السلمية التي دخلت في نفق مظلم. وعجز حكومة AKP عن كسب ثقة الكورد في شمال كوردستان، كما أظهرت نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة.

-نجاح الوحدات الكوردية في كسب سمعة سياسية عالمية وثقة، وحظوها بتأييد أصحاب القرار الأوروبي، وبالمقابل فشل حكومة AKP في اقناع العالم بضرورة تصنيف الوحدات الكوردية كقوة إرهابية يجب محاربتها. وبرز هذا الأمر بوضوح بعد تفجير أنقرة الانتحاري الأخير، حيث كان الرد الأمريكي الرسمي والأوروبي على تصريح أردوغان، ومحاولته اتهام تلك القوة بأنها وراء التفجير، صارخاً وقوياً صامداً له.

لقد وجد أردوغان أن جميع أهدافه من وراء الإستثمار السياسي في الملف السوري أخذت تتداعى أمام نظره وتنهار، وباتت تطلعاته وأحلامه بمواجهة أفق مسدود. وبموازاة ذلك راحت جميع المخاوف التي انتابت العقل السياسي التركي تتجسد يوماً إثر آخر في جواره الجنوبي. إذ شرع الكابوس الكوردي الذي كان يخيم على أجواء السياسة التركية يتحقق بصورة عينية بدعم دولي ويحوم شبحه في الأرجاء. بمواجهة ذلك كانت هستيريا التصريحات السياسية تعلق أكثر، من هنا كان لابد من إنعطافة نوعية من جانب أردوغان، ولربما حادة، باتجاه ترتيب تحالفاته الإقليمية والدولية، وإن اقتضى ذلك منه الإقدام على

تسويات أو تنازلات، للروس أو الإيرانيين أو حتى لبشار الأسد. كل ذلك مقابل أن يحتفظ لنفسه بدور أو موطن قدم على الساحة السورية قبل فوات الأوان. بدأت محاولة الانقلاب ليلة 15 تموز 2016، المملّغزة والغامضة، وكأنها أُلقت بحبل نجاة لإنقاذ أردوغان من مأزق أجدته الداخلية وتحدياتها، وأتاحت له الفرصة الذهبية في أن يتخلص من معظم خصومه المدنيين والعسكريين في جولة واحدة، ويفرض إرادته الشخصية على كل مناح الحياة السياسية في البلاد، بصفته الحاكم الأوحده الذي لا ينازعه أحد في النفوذ.

من هنا راح أردوغان يشيع خطاباً شعبوياً، يغازل فيه شعور الشارع التركي ومخاوفه، ويقدم خلاله صورتين عن نفسه للرأي العام، فهو من جهة أولى المنقذ الوحيد والممثل للتطلعات المثالية للشعب التركي، والقيم الأكثر نبالة فيه. ومن جهة أخرى هو ضحية لتآمر دولي متعدد الأطراف والمشارب، وقد توحدت معاً في جبهة عريضة ضد تلك الأهداف الخلاصية النبيلة، وراحت تستخدم داعش ISIS والاتحاد الديمقراطي PYD وحزب العمال PKK وجماعة فتح الله گولن في حلف غير مقدس ضده، إنه الوحيد القادر على صدّ تآمر كل هؤلاء ضده.

في ظلّ هذا الخطاب التصعيدي تخلص أردوغان من آلاف خصومه في المؤسسة العسكرية، ليس الفعليين فحسب، وإنما حتى المحتملين فيها. المؤسسة التي رفضت طوال الوقت دعمه المباشر للجماعات الإسلامية المتطرفة في سوريا، ولم تنصاع لأوامره في التدخل العسكري المباشر فيها. كذلك أقصى أردوغان وأطاح بالآلاف من معارضيه في المؤسسات التعليمية والإعلامية وفي مؤسسة القضاء. باتت الأرض الآن ممهدة داخلياً، لحدّ كبير، لتنفيذ الرئيس كل خطته وبرامجه. لم يعد هنالك من يعارض تطلعاته السياسية. حتى الأحزاب المعارضة العلمانية والقومية التركية، بعد الانقلاب راحت تنخرط بحماسة في مهرجان شعاراته القومية وفي خطاباته عن وحدة الجبهة الداخلية في مواجهة المخاطر. فقد استطاع أردوغان أن يستغل بذكاء فطري ومكر حماسة الشارع واندفاعه في وجه الانقلاب، في ترهيب القوى العلمانية (المعارضين المحتملين) داخل البرلمان،

وفرض من خلال ذلك رقابة مرعبة قوامها طغيان الشارع ومنطقه، وبالتالي فرض عليهم تسويات وتنازلات، جعلت منهم مجرد مهللين ومصفقين لشعاراته بين حشود الجمهور التركي المتحمس.

في ظلّ هذه الأجواء، صار بمقدور أردوغان، أن يأمر مؤسسته العسكرية باقتحام الأراضي السورية وفرض سيناريوهات معينة، تتناسب مع مقاصده السياسية. وهذا ما حدث بالفعل، عن سابق تصور وتصميم. فقد اختارت تركيا يوم 24 آب لتقوم بغزوها لسوريا. وهي الذكرى الخمسمئة المصادفة لمعركة مرج دابق 1516م، التي انتصر فيها الغازي العثماني، الذي يجد فيه أردوغان مثله الأعلى وقدوته الحيّة، السلطان سليم الأول على السلطان المملوكي قانصو الغوري.

كانت الظروف الإقليمية والدولية التي أحاطت بالعملية، التي سميت بـ«درع الفرات» غايةً في التعقيد والضبابية، مع وجود نبرة سياسية جديدة اتجه النظام السوري من جانب قيادة تركيا ورئيسها والإيحاء بإمكان بقاء بشار الأسد شريكاً في العملية السياسية والقبول به في المرحلة الإنتقالية. ومارست هذه التصريحات غوايتها على النظام السوري، الذي أغرته الرقصة التركية الجديدة فأظهر في البداية تمعناً خجولاً إزاء الاجتياح والغزو التركي للأراضي السورية، بالرغم من أن الدولة التركية راحت وللمرة الأولى، تجهر بالإعلان عن دعمها المباشر للجماعات الجهادية المتطرفة، لوجستياً وإعلامياً. وأن هدفها ليس التخلص منها في جرابلس ومحيطها، كما أعلنت للعالم. كما أن بعض وسائل الإعلام العربي هلل للرواية التركية المكشوفة المآرب، وانساق خلالها إلى تقديم جحافل الجيش التركي الغاز على أنه جيش انقاذ، قادم لتخليص سوريا والمنطقة من آفة الإرهاب، التي عجز الجميع عن مقاومته.

كلّ هذا الصخب الإعلامي المصاحب للحملة كان الهدف منه هو شرعنة التدخل التركي، والتغطية على هدفه الحقيقي ألا وهو ردع الكورد والحوول دون تمكّن قواتهم من تحرير الشمال السوري من الجماعات المتطرفة والموالية لتركيا، وتوحيده تحت إدارة كوردية.

عملية «التحرير» على الطريقة التركية لـ جرابلس لم تكلف المحررين نقطة دمّ

واحدة. وبخلاف مدن كثيرة مثل كوباني، سنجار، منبج، سيرت الليبية، التي تحولت إلى أنقاض بعد تحريرها من داعش، كانت شوارع مدينة جرابلس صباح اليوم الأول من تحريرها المزعوم، نظيفة لا يعكر صفو هدوئها سوى هتافات تكبيرٍ استعراضيةٍ لشوارٍ مشدّيٍ اللحى يرتدون ثياب الجيش التركي متسلحين بأسلحته وعرباته. والخلاصة، بدت مسرحية التحرير هذه كأنها أكثر العمليات الحربية في التاريخ أناقاة و كرنفالية. الأمر الذي عزّز شكوك المراقبين حول المزاعم التركية عن التحرير ومحاربة داعش.

حتى هذه البرهة، تمكنت القوات التركيّة من التوغل في عمق 15 كم وبطول 70 كم في الأراضي السورية، تمتد من جرابلس وحتى بلدة الراعي، بدت وكأنها في نزهة ربيعية بالمعايير الحربية الميدانية، ولم تتلقى مقاومة جادة إلا في نقاط التماس مع قوات سوريا الديمقراطية التي تمكنت من تدمير أربع دبابات تركية، حسبما هو معلن، لدى أول صدام بينهما. بعدها سارعت الولايات المتحدة إلى احتواء هذا الموقف الخطير الآخذ بالاحتدام، وذلك عبر فرض هدنة بين الطرفين تحول دون المواجهة بينهما. وبالرغم من إصرار المسؤولين الأتراك المتواصل على عدم وجود مثل هذه الهدنة والتنكر لها، انطلاقاً من مكابرة بعدم الاتفاق مع منظمة (إرهابية) حسب زعمهم، ومطالبتهم الملحة بضرورة إنسحاب القوات الكوردية إلى شرق نهر الفرات، إلا أن حضور القوات الكوردية تواصل واستمرّ في المناطق التي حررتها غرب الفرات، وهي آخذ بالانتشار والتمدد بالقرب من مدينة الباب.

بعد هذا النجاح العسكري، استغلّ الرئيس التركي حضوره في الدورة الـ11 لـ قمة مجموعة العشرين، التي انعقدت في مدينة خوانجو شرقي الصين يومي 4 و5 أيلول 2016، لإحياء دعوته، القديمة الجديدة، إلى إقامة منطقة آمنة في سوريا «حظر جوي» برعاية تركية. هذا الهدف بالأساس كان موجوداً منذ وقت طويل ولم تنجح تركيا في تحقيقه بسبب معارضة الولايات المتحدة الأميركية والمجموعة الأوروبية. ولكن حماسة أردوغان مجدداً لإحياء مشروعه القديم، ما كانت ممكنة لولا هشاشة الموقف الروسي-الأمريكي إزاء غزو قواته

للأراضي السورية، وإظهارهما لنوع من التفهم الإعلامي للدوافع السياسية والأمنية التركية. فضلاً عن التقارب التركي مع المحور الروسي الإيراني، الذي أراده أردوغان لبيتز به واشنطن ويساومها على القبول بمشروعها عن المنطقة الآمنة. رغم ذلك كانت التصريحات الألمانية والفرنسية إزاء المغامرة التركية أكثر جرأة، وراحت تحذّر من النوايا التركية، وكان في مقدمة المحذرين وزير الخارجية الفرنسي جان مارك أيرولت Jean-Marc Ayrault، الذي رحب بداية بمشاركة تركيا في التصدي لتنظيم الدولة الإسلامية، لكنه حذر من نزوع محتمل للتمادي لدى أنقرة نحو التعرض للقضية الكوردية في سوريا، مضيفاً، أنه أمر شرعي لتركيا أن تضمن أمن حدودها. لكن يجب الحذر من الغرق في العنف ونزوع محتمل للرغبة في التعرض لجزء من المسألة الكوردية في سوريا. أيضاً المطالبة بحظر جويّ برعاية تركية بات محتملاً بعد التقارب والاعتذار، الذي أبداه الرئيس التركي للروس، وبهذا استطاع أردوغان أن يتخطى الحظر الذي فرضه هؤلاء على الطائرات التركية في المجال الجوي السوري بعد إسقاط طائرتهم.

تمكّن أردوغان بناء على تطور الأحداث من ابتزاز الجميع، كما يبدو ظاهراً، دون أن يتمكن بالفعل أن يحقق إنجازاً راسخاً لنفسه يتّسم بالديمومة. ولربما يتمكن من تحقيق وصاية على منطقة عازلة إلى حين ما، لكن يبقى هامش المناورة السياسية لديه في المنطقة التي احتلتها قواته، محدوداً للغاية.

إلى جانب ماسبق، يمكن الإقرار أن الإجتياح التركي تمكّن إلى حدّ ما من تعطيل استكمال الكوريدور الكوردي، جزئياً ولو إلى حين، دون أن يتمكن من منعه تماماً. فالقوات الكوردية هي الآن بصدد تشكيل قوس جنوبي يحيط بمنطقة النفوذ التركي في جرابلس ويمتدّ عبر منبج والباب إلى عفرين، وهو مؤهل بكل المقاييس الديموغرافية لتوحيد الإقليم الكوردستاني في سوريا وترسيخ تواصله الجغرافي.

الأحلام العثمانوية لـ أردوغان، تقلّصت وانكشمت على نفسها، صارت محدودة بحدود جغرافية جرابلس، ولربما باتت محكومة أن تقبر هناك أيضاً. وهذا

ما يدركه الأمريكيان والأوروبيون جيداً، ولعل هذا الأمر هو ما يفسّر جزئياً صمتهم الخجول إزاء مغامرته الأخيرة. لكن هذا الصمت يفسره أيضاً القلق العميق لدى الأوروبيين في التخلص من سيف ديموقليس، الذي سلّطه أردوغان على رقابهم، نعني بهذا مسألة اللاجئين السوريين، التي باتت ورقة رخيصة للإبتزاز والمتاجرة على يده يلوّح بها في وجه الأوروبيين كل حين.

فضلاً عما سبق، يمكن لهذه المنطقة أن تتحول إلى ملاذ وبؤرة استقطاب لآلاف الجهاديين والمتطرفين من المعارضة السورية، الذين يمكن إخضاعهم والتحكم بهم هنا بسهولة، وتقييد تحركاتهم، دون أن يتحولوا إلى تهديد متحرك ومنفلت في المجتمعات الأوروبية. وتستطيع تركيا بالمقابل أن تقايعهم بسهولة ورخص مع نظام بشار الأسد والأوروبيين، متى شاءت.

موطن القدم التركي، الذي يثير خيال بعض المحللين السياسيين وحماستهم، بوصفه مسمار جح التري في جدار مستقبل سوريا السياسي، الذي سيضمن لتركيا دوراً أو قولاً فاصلاً على طاولة المفاوضات، هو ليس بتلك الأهمية الجيوبولتيكية المؤثرة على مسارات التغيير، وطالما أنه سيظلّ محدوداً بتلك الجغرافية التي رسمتها الدول الكبرى، وليس هنالك ما ينبئ بأنه سيسمح للنفوذ التركي أن يتسع أو يمتد إلى أبعد من هذا النطاق، وستظلّ العين التركية ترنو بحنين نوستلجي إلى مدينة حلب Aleppo دون أن تظفر برؤيتها عياناً أو عن قرب، كما ستظلّ تتطلّع إلى شقيقتها الموصل العراقية بحسرة أبدية، ولن تشفع لها الليرة الذهبية عن كلّ منهما في الميزانية العامة في تحقيق حلمها المستحيل.

رغم هذه المكاسب العارضة، الناجمة عن التدخل العسكري التركي، يظلّ الطموح الأردوغاني في سوريا محكوماً بالفشل الناجم عن تحديات موضوعية تتعلق بالجغرافية والسكان، ناهيكم بتحديات السياسة الدولية، من هنا فإن أية محاولة للخروج أو القفز فوق هذه الشروط سيعني سقوطاً مريعاً لسياساته وحتى لنظامه، ولربما هذا هو الفخ الذي ينتظره من وراء إقدامه على غزو الأراضي السورية، وهو جزء من المكر المخبوء وراء الصمت الدولي.



## - الإئتلاف المعارض والمجلس الوطني الكوردي ENKS

ليس ثمة بيئة أو قرينة تنبئ عن استعداد المعارضة العربية السورية على الاعتراف بالحقوق القومية للكورد السوريين جذرياً، أو إعلان القطيعة مع ميراث البعث العنصري وسياساته الإنكارية تجاه الكورد وقضيتهم حتى هذه اللحظة. وهذه القوى حين تجد نفسها مرغمة على الحديث عن الشأن الكوردي السوري، إنما تتحدث بطريقة عمومية وضبابية أقرب ما تكون إلى تصريحات وزراء أعلام حكومة البعث وناطقيه.

وهي في ذات الوقت تطالب الكورد بتأييد مطالبها السياسية بحزم دون الاكتراث لحقوقهم العادلة بالمقابل. ويتعذر اليوم الحديث عن تحالف مشترك للمعارضة السورية، شامل للكورد والعرب، بغياب هذا الخطاب الديمقراطي، الجذري والشامل، الذي يحتوي مطالب الكل ويستغرقها، ويؤكد على عدالة القضية القومية للكورد السوريين.

الخلفية السياسية والاجتماعية لمعظم قادة الإئتلاف المعارض تكشف بوضوح شديد عن طبيعة عداثهم المقتنح والمعلن للكورد وحقوقهم في غرب كردستان، فالتاريخ الشخصي لمعظمهم يشرح لنا هذه المواقف المعادية واستعدادهم للخضوع لجميع الأجندة التركية بالنسبة لمستقبل سوريا والقضية الكوردية. فهم يتوزعون في ولاءاتهم بين بعثيين يمينيين سابقين، وأعوان سابقين للنظام انشقوا عنه، وإخوان مسلمين، ناهيكم بالميلول الإسلامية المتطرفة لدى الكثير منهم. فضلاً عن ذلك يسجل لمعظمهم مواقف سياسية سابقة مؤيدة لنظام صدام حسين والوقوف الحاسم ضد تطلعات كورد جنوب كردستان في فترة التسعينيات والعداء الصريح لحركته السياسية.

ومع ذلك إنضم المجلس الوطني الكوردي في سوريا إليه وألقى بجميع مطالبه السياسية أمام شعاراته العروب-إسلامية لقاء وثيقة مبادئ غير ملزمة وتسويقية عن القضية الكوردية. وهذا الإطار السياسي الذي أعلن معظم قادته، خلال السنوات الفائتة، عن رفضهم الصريح للمطالب الكوردية في



الفيدرالية وعلمانية الدولة السورية، وأخضع تماماً لمطالب الخطاب السياسي التركي والسعودي إزاء الأزمة السورية. ففي مؤتمر رياض الأخير الذي انبثق عنه لجنة تفاوضية عليا، التزم أعضاؤه بوثيقة تؤكد على ضرورة التمسك بالهوية العربية الإسلامية لسورية في أية مفاوضات مقبلة. ناهيكم برفضهم أي تمثيل كوردي مستقل في أية لقاءات مقبلة أو حوارات محتملة.

كان الإئتلاف على الدوام غطاء سياسياً لشرعنة ممارسات الجماعات الجهادية في سوريا، فُرض على السوريين قسراً بإرادة إقليمية ودولية، وكان الهدف منه مصادرة القرار السياسي السوري المستقل واختزاله في كتلة تابعة لمراكز القرار الإقليمي. ففي معارك كوباني الطاحنة ضد داعش انساق الإئتلاف مع البروباغاندا التركية عن المقاومة الكوردية، وكذلك الأمر مع جميع الغزوات والإعتداءات التي حدثت في المناطق الكوردية من جانب الجماعات المسلحة للمعارضة. ففي أحسن الأحوال كان يلتزم الصمت المخزي، الذي ينم عن قبول ورضى غير معلنين عن تلك الاعتداءات مالم يبررها صراحة كما حدث في سري كانييه والمناطق الكوردية الأخرى.

بدا واضحاً إن أحد أبرز المهام السياسية للإئتلاف كان مواجهة وحدات الحماية الكوردية طبقاً للأجندة التركية، والسعي، بكل طاقته، لترويج بروباغاندا من شأنها تشويه سمعة القوات الكوردية في الداخل والخارج. وقد انساق المجلس الكوردي، التزاماً بعضويته، مع هذا الاتجاه السياسي، فمن أصل ٤٨٢ بيان أصدره المجلس خلال تاريخه، حسب بعض التقديرات، خصّ منها ٣٧٦ بيان لانتقاد وحدات الحماية وحزب PYD وإدانتهم أو التهجم عليهما. وهذا يكشف بوضوح عن طبيعة المهمة السياسية، أو حتى الهم السياسي الذي يشغل تفكير قادة الأنكس.

بكل الأحوال شهد نفوذ المجلس الكوردي في الشارع الكوردي انكماشاً بيناً وانحساراً، بخاصة بعد معارك كوباني، علاوة على فقدان الكثير من قادته السياسيين لثقة الأفراد نتيجة سلوكهم وارتهانهم لأجندة الإئتلاف المعارض واللهاث وراء امتيازاته المادية والمعنوية، وفقدان المجلس لقراره السياسي

المستقل. غير أن هذا التراجع لم يصب في خدمة التوجهات السياسية لحزب PYD بالضرورة بقدر ما ترجم على شكل تعاطف وتأييد لانتصارات وحدات الحماية الشعبية وتضحياتها في الشارع الكوردي.

في عملية درع الفرات اندفع الإئتلاف المعارض بحماسة لتبرير الاجتياح التركي للأراضي السورية، التي تتذرع بها وتتبجح في كل حين تواجه فيه المطالب الكوردية بنوع من الحكم الذاتي. لم تعد تعنيها أية سيادة وطنية في هذه الحالة طالما أن الأمر يتعلق بنوع من الثأر المشفوع بالحق والعجز اتجاه الانتصار الكوردي، حتى لو ابتلعت تركيا نصف الأراضي السورية، وأقامت عليها أرخبيلاً تركياً على منوال القبرص الشمالية. هذا النزوع الخفي لدى المعارضة السورية يكشف عن الذهنية العنصرية والمذهبية التي تتحكم بالسلوك السياسي لديها. لقد أدارت ظهرها، في هذه اللحظة للصراع مع النظام، وانصرفت تماماً لهدف وحيد هو شرعنة التدخل التركي ومساندته بهدف القضاء كلياً على النفوذ الكوردي.

وبالمثل انساق عدد من ممثلي ENKS في الإئتلاف، مع هذا الموقف، مبررين الانتهاك التركي بوصفه تحريراً وحرباً على الإرهاب الداعشي والكوردي. لقد أعلن معظم ممثلي الدولة التركية أنهم يهدفون من وراء عملياتهم هذه ليس القضاء على التواجد الكوردي ونفوذه في شمال سوريا فحسب، إنما أيضاً الهدف من ورائها هو تقويض أيّ احتمال أو إمكانية لنشوء كيان كوردي هناك.

## مستقبل الكورد بعد معركتي موصل والرقّة

د.عثمان علي

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، جامعة صلاح الدين - اربيل

يبدو ان الدور البارز والمكاسب الانية التي حققتها الحركة الكوردية في الشرق الاوسط في ظل وجود تهديد تنظيم الدولة الاسلامية وما خلقتة ذلك الوجود من فراغ امني وسياسي وعسكري في الشرق الاوسط ستتحسر نسبيا بعد ظهور بوادر تشكيل المحاور الإقليمية الرسمية ضد الحركة الكوردية المتنامية في القوة في كل من تركيا والعراق وسوريا وايران. ولكن بعض المكاسب التي حققتها الحركة الكوردية اكبر من ان تقضى عليها بجرة قلم او اجتماعات دول اقليمية. فلا تزال هناك فسحة امام تلك الحركة من الحفاظ على بعض مكاسبها اذا فهمت ابعاد اللعبة الإقليمية الجديدة وخففت من تناقضاتها وصراعاتها الداخلية وطرحت مشاريع طموحة وواقعية للتعامل مع مستجدات محيطها المحلي والإقليمي الجديد. في هذا الورقة نستشرّف مستقبل الحركة الكوردية انطلاقا مما نراه في الافق من احداث اقليمية ودولية التي تتجسد في الافق بالتغيرات الجذرية الجارية الان . ولكن هناك في السياسة دهاليز مخفية لا يعرفها الا اصحاب القرار وقد نتفاجيء بقرارات منهم لم يكن في

حسبان المحللون السياسيون او قد تفرض الاحداث الطارئة امور لم يكن حتى في حسبان اصحاب القرار. فلم يكن مثلاً ، في حسبان احد من المحللين السياسيين الى الوقت القريب ان يحدث هذه التغييرات المحورية في سياسة تركيا الداخلية والخارجية. سنتطرق اولاً الى العوامل المحيطة والمتداخلة في معركتي الرقة والموصل ومن ثم نستعرض السيناريوات المحتملة كنتائج لهذه المعارك في كل من سوريا والعراق ومآلاتها على الحركة الكوردية . واخيراً كيف يستطيع الكورد التأقلم مع الاحداث الجديدة في محيطها الأقليمي الجديد.

### معركة موصل وحلب

يتوقع بعض المراقبون ان يحدث معركة موصل قبل حلب ويذهب اخرون الى القول من الممكن أن يبدأ الهجوم على الموصل والرقة في وقت متزامن لاسباب عسكرية وسياسية محسوبة العواقب . فالهجوم المتوازي قد يجبر داعش الى تفتيت وبعثرة الجهود والتقليل من قدرته من وضع خطط دفاعية كفيلة للحرب في جبهتين في آن واحد. أو قد يبدأ الهجوم على احدهما بعد الانهيار الذي سيحدث في معنويات داعش من سقوط احد قلاعها الرئيسية في موصل او الرقة.

### الطريق الى الرقة

وتعكس خطط امريكا الطموحة لموصل والرقة تحولا في سياسة ادارة الرئيس اوباما وتورط أعمق للولايات المتحدة التي لم يبلغ عنها بالكامل في الولايات المتحدة وسائل الإعلام أو الحديث عنها في الحملة الانتخابية الرئاسية وفي الآونة الأخيرة، اكتسبت القيادة المركزية إذن البيت الأبيض لنشر مستشارين من الولايات المتحدة مع القوات العراقية في مستوى الكتيبة و معوحدات

حماية الشعب YPG و قوات سوريا الديمقراطية ، الذي من شأنه أن يضع مستشاري الولايات المتحدة والمدربين في خطر أكبر، لكن سيعطيهم أيضا المزيد من السيطرة على ساحة المعركة. ولكن المعركة القادمة ستكون بادرة واشراف امريكي الى حد كبير.

تعكس المساعدات السخية من الولايات المتحدة لقوات وحدات حماية الشعب الثقة العسكرية الأمريكية الكبيرة بهم وأن داعش حاليا في تراجع . منذ بدأت الحملة يوم 8 أغسطس 2014، أطلقت قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة أكثر من 13000 ضربة جوية على أهداف عسكرية لداعش. كما حسمت الضربات الامريكية أربعة أهداف على المدى القريب وضعت من قبل الجيش الأمريكي لمكافحة داعش وهي على وشك الانتهاء: لتحقيق الاستقرار في الأنبار، وإعداد قوات التحالف البرية للهجوم على الموصل، تنظيم الحملة البرية في سوريا لهجوم مخطط على الرقة وتكثيف تدفق الأسلحة للقوات البرية المضادة للداعش<sup>(27)</sup> . وتستند الخطة الامريكية الجديدة على اشراك العرب السنة مباشرة في الحرب. وفي شهر اذار 2016 عقد اجتماع موسع لدول التحالف التي تقودها امريكا ضد داعش في واشنطن واتفقوا على تصعيد الهجوم العسكري لاحتلال كل من الرقة وموصل وتم وضع خطط عسكرية لتحقيق الهدف. ولكن في المسرح العراقي كان هناك نزاع في البيت الشيعي وتم تاجيل خطة الهجوم على الموصل والتركيز على فلوجة. واخيرا قامت الولايات المتحدة لتدريب وتجهيز قوة عربية للقتال من أجل الرقة سميت بقوات السورية الديمقراطية، وتصل عدد هذه القوة حوالي 20 الف ، فحوالي 6 الاف منها من العرب والمسيحين وتشكل قوات وحدات حماية الشعب العمود الفقري لهذه القوة<sup>(28)</sup> . اما في الساحة السورية فقامت قوات سوريا الديمقراطية بالتنسيق مع قوات التحالف الدولي باخذ الاستعدادات

(27) - <http://www.politico.com/magazine/story/201608//iraq-offensive-2016-mosul-islamic-state-isis-isil-obama-foreign-policy-kurdish-214121#ixzz4IYUGg7zf>

(28) - In Syria and Iraq, the Islamic State is in retreat on ... - Washington Post  
<https://www.washingtonpost.com/.../a0e33774-f1011-..>

لمعركة طوق الرقة. وحاولت الولايات المتحدة كسب الدعم العربي الرسمي خاصة دول مجلس التعاون الخليجي وتركيا للمعركة ، ولكن دون فائدة. فتركيا اشترطت ان لا يكون هناك دور لقوات سوريا الديمقراطية في العملية وكما لم يكن دول الخليج متحمسة لمعركة الرقة لعدم دعم ولايات المتحدة لهم في معركة اليمن.

فقامت قوات سوريا الديمقراطية بعمليات عسكرية لاحتلال مواقع لداعش في قرى والمدن الصغيرة المحيطة بالرقة. وهكذا تم الهجوم من قبل قوات سوريا الديمقراطية من محور عين عيسى وسد تشرين والشدادية بدعم التحالف الغربي، وحققت قوات سوريا الديمقراطية انتصارات كبيرة وبهذا نالت اعجاب وتقدير التحالف. ولكن حسب مراسل واشنطن بوست تم تأجيل الهجوم على الرقة لوجود تعارض الاجندات بين القوات التي تحاول طرد داعش من المدينة، وكان هناك توتر بين الكورد والعرب بشأن من سيشارك وكيف يحكم المدينة بعد أن تم تحريرها. أعلنت وحدات حماية الشعب انها تنوي ضمها ضمن الأقليم التي شكلتها باسم الكانتونات .

وفي اب 2016 قال قائد جيش التحالف ضد داعش الجنرال شون مكفارلاند، انه سيتم قريبا الانتهاء من داعش في المدينة الحدودية السورية منبج، وأن هذا سوف يمهّد الطريق لاستهداف الرقة [العاصمة الفعلية للدولة الإسلامية- داعش]، أفاد مسؤول موقع وزارة الدفاع الأمريكية. ان قوات سوريا الديمقراطية حققت التقدم عن طريق طرد داعش من الشدادي، والحسكة، وتشرين. وأضاف «ان استعادة السيطرة على منبج مهدت الطريق لهجوم في نهاية المطاف للاستيلاء على الرقة»، وقال مكفارلاند، أن استعادة السيطرة على الرقة ستكون بداية النهاية لداعش في سوريا. وأضاف «خلال هذه العمليات، [الذي قاده الولايات المتحدة] وطائرات التحالف أجرت حوالي 50 الف طلعة جوية ضد داعش في العام الماضي»، وقال «وخلال هذه الطلعات الجوية وصلت الى 30 الف هجوم وشل حوالي ما يقرب من ثلثي قواته في العراق وحوالي الثلث في سوريا. وقدر قائد القوات الأمريكية أنه في الأشهر ال 11 الماضية، قتل حوالي

25 الف مقاتل من داعش<sup>(29)</sup> . وفي كانون الأول/ ديسمبر الماضي، استطاعت قوات سوريا الديمقراطية من الاستيلاء على جيب صغير من الأراضي غرب سد تشرين. فاطلقت أنقرة بعض التهديدات، ولكن على الأقل يبدو ظاهرياً أنها قبلت بما قالته الولايات المتحدة بأن العملية استندت إلى مكونات غير كوردية من قوات سوريا الديمقراطية، وأنه من شأن وزارة الدفاع الأمريكية أن تقيّد من طموح الكورد من التقدم أبعد من ذلك. ثم، في شهر مايو، توسع جيب سد تشرين فجأة نحو الغرب عندما ابتلعت قوات سوريا الديمقراطية مركز داعش الأقليمي في منبج. بعد حصار لمدة شهرين، سقطت المدينة في منتصف أغسطس/ آب. وذكر كل من الأتراك والأمريكيون بعد ذلك أن الكورد في قوات سوريا الديمقراطية قد وعدوا بالانسحاب بعد المعركة وأنهم سيتركون المدينة تحت سيطرة الفصائل الأصغر حجماً ومعظمها من العرب (ليسوا من حزب العمال الكوردستاني). وقال وزير الخارجية مولود تشاويش أوغلو يوم 15 آب: «إننا نتوقع منهم الالتزام بوعدهم . وافقت الولايات المتحدة العام الماضي على أنها ستمنع قوات سوريا الديمقراطية من التحرك عبر نهر الفرات في منطقة حلب، حيث تقع جرابلس. ذلك سيكون خطأً أحمرًا مضمونًا من الولايات المتحدة، في مقابل تعاون تركيا بشأن مسألة داعش(30) .»

ولكن الروس بدروهم يدركون أيضا ان أيام داعش في السيطرة على المدن باتت معدودة لذلك كثفوا في الالونة الاخيرة الدعم العسكري لحلفائهم من النظام السوري والمليشيات المؤيدة له للزحف على الرقة. فمنذ 10 فبراير يشن الجيش السوري حملته للوصول على الرقة من جنوب غرب البلاد، على طول الطريق السريع 42، السلامية - الرقة. وفي 28 ميس، كانت القوات السورية نحو 15 ميلا إلى الشرق من الرصافة، احدى المدن الكبرى الأخيرة على طول الطريق السريع 42 قبل الرقة، وتقاطع استراتيجي مع الطريق السريع

(29) - US Commander: Retaking Manbij will set the stage for attack on ISIS ...

aranews.net/.../us-commander-retaking-manbij-will-set-stag...

(30) - بعد الدبلوماسية الغامضة، تركيا تتدخل في سوريا | ترك برس

www.turkpress.co/node/25371

6. هذا يضعهم ( القوات السورية) على بعد 30 ميلا، بالإضافة إلى ذلك، كانت القوات السورية نحو 20 كم جنوب غرب سد الطبقة ، والأهم من ذلك قام داعش بتحويل السد إلى قلعة عسكرية. وقام داخل السد بتخزين الإمدادات العسكرية هناك. علما ان عبر نهر الفرات وقريب من السد هناك بحيرة الأسد وانها أكبر بحيرة في سوريا، وحوالي 40 ميلا من الرقة. وقد امتنعت القوات الجوية الروسية والأمريكية من ضرب تحصن المسلحون في سد الطبقة ايضا -خوفا من أن الأضرار التي ستلحق بالسد والتي يمكن أن يطلق العنان لفيضانات كارثية. وان مسلحي داعش هددوا بنسف السد في حالة تعرض الرقة الى الهجوم.

لذلك فإن معركة الرقة هي معركة بالوكالة بين روسيا والولايات المتحدة. إذا نجح الجيش السوري في الاستيلاء على الرقة أنه سيؤكد فعالية الكرملين في تدخله في سوريا،ومما يعزز ادعاء موسكو للحملة التي تقودها روسيا، أو على الأقل، بقيادة المشترك، ضد الدولة الإسلامية والجماعات الجهادية الإسلامية الأخرى، وكذلك يفضح فشل سياسة أوباما والبيت الأبيض في سوريا. ولكن بالمقابل ان انتصار قوات وحدات حماية الشعب الكوردية من شأنه على الأقل ان تسمح لادارة أوباما لتعلن أنها نجحت في هزيمة الدولة الإسلامية، وأنها تفعل ذلك، وخلافا للخطة الروسية فانها عملت ذلك باقل الاضرار للمدنيين. ووصفت بعض الصحف المحلية الهجوم على الرقة « بالسباق الى الرقة» بين القوى الموالية للتحالف الامريكي ووقوات النظام المتحالف مع روسيا وايران<sup>(31)</sup> .

---

(31) - اتبع جوزيف ف. ميكاليف على تويتر: [www.twitter.com/JosephVMicallef](http://www.twitter.com/JosephVMicallef)



## الطريق الى الموصل

ويبدو أن عدم التماسك السياسي وأجندات متضاربة بين القوى التي تنوي استعادة الموصل من أبرز التحديات الرئيسية لهذه المعركة. الى جانب ذلك، وعلاوة على ان مهمة محاربة قوات داعش المتكونة من 10 الاف مقاتل شرس والمتحصنين في وسط المدينة المكتظة بالسكان (لا يقل عن مليون)الذين سيتم استخدامها كدروع بشرية. بغض النظر عن كيفية ومتى سوف يطرد داعش من الموصل، فإن مرحلة ما بعد الموصل ستواجه العراق مجموعة من التحديات والتي لم يتم تناولها من قبل الحكومة و قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة في هذا الحرب. وبخلاف الاستعداد لمعركة الرقة يبدو ان تخطيط الحرب وادارته وتنفيذه ستكون مبادرة امريكية رغم ان الامريكان يقولون علنا ان رئيس الوزراء حيدر العبادي هو الذي يخطط المعركة وتوقيته وطبيعة القوى المشاركة فيها.

يرى بعض المراقبون ان الهجوم على الموصل ستكون بالتزامن مع الهجوم على الرقة وذلك ليكون انهاء وجود داعش في هذه المدينتين مكسبا كبيرا للرئيس اوباما والديمقراطيين قبل رحيله وتساعد حملة انتخابات هيلاري كلنتون، المرشحة الديمقراطية في الانتخابات الرئاسية الامريكية في تشرين الثاني -نوفمبر. لذلك سيكون توقيت الهجوم على الموصل في شهر تشرين الاول-اكتوبر من عام 2016.<sup>(32)</sup>

يبدو ان إدارة أوباما عازمة على جعل العراق خالي من داعش احد مكاسبه فى الحكم وخلافا لسياسته السابقه المتميزة بنوع من الانعزالية والتي تلخصت بقوله « لن يكون المزيد من الجنود الامريكية على اراض اجنبية وفي الشرق الاوسط »، فقد بدأت ادارته في الآونة الأخيرة سياسة هجومية وفعالة

(32) - [www.politico.com/magazine/story/201608//iraq-offensive-2016-mosul-islamic-state-isis-isil-obama-foreign-policy-kurdish-214121](http://www.politico.com/magazine/story/201608//iraq-offensive-2016-mosul-islamic-state-isis-isil-obama-foreign-policy-kurdish-214121)

في العراق لانتهاء وجود الإرهاب ممثلا في داعش في العراق وسورية. وخلال الأشهر القليلة الماضية كان هناك حركة المرور الكثيفة من قبل كبار الجيش الأمريكي والمسؤولين السياسيين إلى العراق، خاصة إلى بغداد واربيل. وقررت حكومة الولايات المتحدة فجأة لارسال 560 من الجنود الأمريكيين إلى العراق، إضافة إلى قواتها الموجودة، بما في ذلك القوات الخاصة (النخبة قوة دلتا)، والمزيد من طائرات هليكوبتر أباتشي، وتعمير القاعدة الجوية العسكرية من قبل الأمريكيين في قيادة 40 كم جنوب الموصل، لتكون منطلقا لهجوم القوات العراقية ولتوفير القوة النارية اللازمة للقوات العراقية التي سوف تقوم باقتحام الموصل.<sup>(33)</sup> وعلاوة على ذلك وبطريقة مشابهة جدا لتوظيف عام 2006 للقبائل العربية السنية في محافظة الأنبار ضد تنظيم القاعدة، بدأ ضباط عسكريون أمريكيون بتوزيع الأموال لمشايخ القبائل العربية السنية في الموصل والمناطق المحيطة بها. وفي زيارته الأخيرة للعراق، قال وزير الدفاع اشتون كارتر، «الجميع يعرف الحرب في العراق هي النضال من أجل الموصل وأن النصر هناك سيؤدي إلى نهاية اللعبة في العراق».<sup>(34)</sup>

ويصرح المسؤولون العسكريون الأمريكيون الذين رسموا خطة المعركة للموصل أن الخطة «هي لعزل الموصل، وخنقها وقتل من فيها من الدواعش»، ونقلت الصحيفة عن ضابط كبير من القيادة المركزية الأمريكية، ستحات الموصل في حركة كماشة معقدة من القوات العسكرية العراقية تقاتل طريقهم إلى المدينة من الجنوب الشرقي والقوات الكوردية تقوم باقتحام المدينة من الشمال الغربي والشرق. ونقل عن جون بول دبورو، ضابط العمليات في التحالف الدولي لقتال داعش «فان معركة موصل ستكون معركة صعبة».<sup>(35)</sup>

---

(33) - US Army's elite Delta Force counter-terrorism unit sent in ... - Daily Mail  
[www.dailymail.co.uk/.../US-Army-s-elite-Delta-Force-counter-terrorism-unit-unleashed-..](http://www.dailymail.co.uk/.../US-Army-s-elite-Delta-Force-counter-terrorism-unit-unleashed-..)

(34) - US Pressuring Syrian Arab Tribesmen to Join Kurdish-led SDF: Source  
[syrianobserver.com/.../US\\_Pressuring\\_Syrian\\_Arab\\_Tribes...](http://syrianobserver.com/.../US_Pressuring_Syrian_Arab_Tribes...)

(35) - Iraq puts northern offensive against Islamic State on hold - Yahoo!  
<https://ca.news.yahoo.com/iraq-puts-northern-offensive-against-islamic-state-hold-15>

واستنادا إلى الخبرة السابقة مع الاستيلاء على تكريت والرمادي، ومن المرجح أن يشهد حملة على الموصل فترة طويلة وستشهد قتال من شارع إلى شارع مع استخدام العبوات الناسفة وكذلك استخدام الأنفاق وتسديد الضربات بشكل غير متوقع في الجزء الخلفي من القوات العراقية المهاجمة ، وسوف تطول على أقل تقدير، شهري تشرين الثاني و كانون الاول و تمتد على الأرجح إلى عام 2017. يلاحظ باتريك مارتن ، من معهد دراسات الحرب، وهو مؤسسة بحثية في واشنطن، «لان داعش يعرف بان سقوط الموصل حتمي ويشير، في الواقع، الى هزيمتها في العراق. لذلك ستحاول تأجيل تلك اللحظة لظالم ما في وسعها».<sup>(36)</sup> وكلما اقتربت معركة الموصل ازدادت حدة التوتر بين حكومة إقليم كردستان وبغداد . يدعي الكورد أنهم يعانون من التهميش التي يمارسه ضدهم العبادي. ويرى العبادي أن قادة حكومة إقليم كردستان، وخاصة مسعود البارزاني، يحاول استخدام المعركة للاستيلاء على مزيد من الأراضي في المناطق المتنازع عليها. ويدعي القادة العراقيون ان الكورد يضعون مطالب غير معقولة، فمنها اقتطاع اكثر من 15 وحدة ادارية تسكن فيها الكورد والاقليات الدينية في سهل نينوى.<sup>(37)</sup>

يدعي الكورد أنه بعد تحرير القيامة والسيطرة على القاعدة الجوية هناك ،ان الحكومة العراقية تشعر أنها لا تحتاج إلى أراضي حكومة إقليم كردستان إلى شن الحرب على الموصل. وتحاول تهميش دور الكورد في المعركة. علما سبق وان استبعدت الحكومة المركزية ممثلي حكومة إقليم كردستان من اجتماع للائتلاف المناهض لداعش في واشنطن. ثم في اليوم الأول من لاجتماع الائتلاف في واشنطن صرح وزير الدفاع العراقي السابق، خالد العبيدي لمجموعة من الصحفيين، «نحن لن نسمح للقوات الكوردية ان تشارك في معركة الموصل»<sup>(38)</sup>

---

(36) - Islamic State in Iraq: The last battle - The Economist

[www.economist.com/.../21696951-long-fight-retake-iraqs-second-biggest-city-mosul-](http://www.economist.com/.../21696951-long-fight-retake-iraqs-second-biggest-city-mosul-)

(37) - بغداد تردّ على «شروط» أربيل قبل معركة الموصل: البيشمركة قوة إرهابية إذا ...

[www.al-akhbar.com/node/261972](http://www.al-akhbar.com/node/261972)

هذا وأعقب علي البديري العضو البرلماني من كتلة دولة القانون، التابع للتحالف الوطني الشيعي على الازمة قائلا « إذا البيشمركة الكوردية تعرقل عملياتنا في الموصل، نحن سوف نعتبرهم من الجماعات الخارجة على القانون ويكون التعامل معهم وفقا لذلك».<sup>(39)</sup>

وقام المسؤولون الامريكيون بجهود حميمة ومكثفة للحصول على دعم قوات البيشمركة الكوردية للمعركة. ففي 12 تموز، وقعت الولايات المتحدة رسميا على بروتوكول سميت بالتفاهم العسكري مع حكومة إقليم كردستان لضمان اشراك البيشمركة في المعركة.<sup>(40)</sup> و خلف الكواليس قام المسؤولون الأميركيون ومن ضمنهم جوزيف دانفورد، رئيس هيئة الأركان المشتركة، بوساطة للوصول الى حل وسط بين البارزاني والحكومة المركزية. شملت التسوية مشاركة البيشمركة في المعركة كقدرة داعمة (قوة مساندة للجيش العراقي). و في 30 تموز- يوليو بعد أن التقى مسعود البارزاني المسؤولين الامريكان صرح: انه من المستحيل إن يتم تحرير الموصل دون البيشمركة وأنها ستشارك في العملية لكنها لن تدخل مدينة الموصل». ووفقا لجبار الياور، امين عام وزارة البشمركة في حكومة اقليم كردستان، سيشارك الكورد في المعركة ب 50 الف من البشمركة . وفي 13 تموز التقى مسعود البارزاني رئيس اقليم كردستان مع فالح الفياض، المستشار الامني للعبادي ، في صلاح الدين في محافظة اربيل باشراف الامريكان واتفق الطرفان بتنسيق الجهود في الحرب وان تكتفي البيشمركة بمساندة القوات العراقية وان لاتدخل مدينة الموصل.<sup>(41)</sup> وان هذه التفاهمات ظلت غامضة

---

(38) - Iraqi-Kurdistan Baghdad-Erbil bickering overshadows Mosul battle

[www.al-monitor.com/pulse/.../iraq-government-marginalize-kurds-mosul-battle.html](http://www.al-monitor.com/pulse/.../iraq-government-marginalize-kurds-mosul-battle.html)

(39) - بغداد تردّ على «شروط» أربيل قبل معركة الموصل: البيشمركة قوة إرهابية إذا .. [www.al-akhbar.com/](http://www.al-akhbar.com/)

. node/261972

(40) - US-KRG military deal 'unconstitutional' claim Baghdad MPs ...

[rudaw.net/english/kurdistan/18072016](http://rudaw.net/english/kurdistan/18072016)

(41) - Barzani: Post-liberation Mosul will not accept the old order - Rudaw

[rudaw.net/mobile/english/kurdistan/130820163](http://rudaw.net/mobile/english/kurdistan/130820163)

وقد فسره كل من الطرف الكوردي والحكومة المركزية حسب فهمهم لها. ففي 17 آب صرح العبادي ان التفاهم مع اقليم كردستان يقضي بانسحابهم من جميع المناطق المتنازعة عليها حسب المادة 140 من الدستور العراقي و التي سيطر عليها البيشمركة. وهذا ما رفضه القادة العسكريون والسياسيون في اقليم كردستان . فيقول ممثلي حكومة اقليم كردستان بانهم لن ينسحبوا من اي منطقة كوردية تم تحريرها بدماء البيشمركة . وقال شيخ جعفر سيد مصطفى ، قائد عسكري كبير من الاتحاد الوطني، « لن يستطيع احد ان يجبرنا على الانسحاب ولو من شبر من أراضي كردستان المحررة. وان العبادي لن يستطيع ان يصل الى هدفه الا بالمرور عبر اشلاءنا».<sup>(42)</sup>

وان هناك عامل اخر في تحديد مصير معركة موصل وستكون له تأثير في مجريات الاحداث بعد المعركة وخاصة في علاقة القوات العراقية مع البيشمركة. وهو وجود مليشيات الحشد الشعبي. وقد اعلم العبادي وبشكل لا لبس فيه من قبل أمريكا وزعماء السنة في الموصل على حد سواء أن الميليشيات العراقية الغير المنضبطة ليسوا موضع ترحيب في الموصل ان وجودهم في المعركة ستساعد فقط في إطالة أمد الحرب.

وقامت الجماعات الشيعية من جانبهم بالتهديد باستهداف المسؤولين الأمريكيين العسكريين في العراق. وقال مقتدى الصدر، القائد الشيعي البارز، «أن الأميركيين في العراق سيكونون هدفا مشروعاً لنا».<sup>(43)</sup> و اضاف هادي العامري، رئيس منظمة بدر الموالي لايران، «اننا ذاهبون للمشاركة في معركة الموصل ولا أحد يستطيع أن يمنعنا من القيام بذلك»، وصرح نائبه ابو مهدي المهندس «سنكون في الموصل بغض النظر عن رغبة الارهابيين من البعثيين والسعوديين والأترك».<sup>(44)</sup>

في البداية، حاول العبادي اقناعهم بالحيولة دون اشتراكهم في معركة موصل خوفا من تكرار أعمال العنف الطائفي التي وقعت بعد تحرير تكريت

(42) - قيادي كوردي: البيشمركة لن تنسحب من مناطق حررتها بالدم - [www.kurdistan24.net](http://www.kurdistan24.net) ..

(43) - العراق: مقتدى الصدر يهدد بضرب الجنود الأميركيين في القيارة [www.youm7.com](http://www.youm7.com).

(44) - <http://www.nrttv.com/AR/Detail.aspx?Jimare=25643>

والرمادي والفلوجة. ومع ذلك، وقع بدوره تحت ضغط من رجال الدين الشيعة والمنظمات السياسية العراقية الموالية لإيران وبالتحديد كتلة دولة القانون. وهكذا، فقد صرح العبادي قائلاً «للهشد دور في هذا الواجب الوطني ولا أحد لديه الحق في استبعادها من معركة الموصل».<sup>(45)</sup> اعتقد أن كلا من العبادي والولايات المتحدة ستسمح للحشد الشعبي للعب دور في هذه المعركة بسبب الحاجة للخبرة القتالية اللازمة عند الحشد وان الطرفين يههما النصر السريع المؤكد ولن تكون تصرف الحشد هنا مختلفا عن تصرفاتهم في المحافظات السنية الاخرى. وسيكون معركة الموصل شاهد آخر، رغم انكار الطرفين ، على وجود شراكة الأمر الواقع الغير المعلن بين إيران والولايات المتحدة في الحرب ضد داعش.

### السينوريات المتوقعة بعد طرد داعش من موصل والرقعة

يتوقع الكثير من المراقبين السياسيين ان انتهاء احتلال داعش لموصل والرقعة يعطي فرصة للقضاء على ارهاب داعش ولكن المنظمة اثبتت قدرتها على اعادة تشكيل وحداتها الضاربة في المنطقة ونقل نشاطها الى مناطق اخرى ضمن البلدين او في العالم الاسلامي وخاصة الغرب وان الهجمات التي تعرضت لها حديثا المدن الاوروبية واميركا وشمال افريقيا دليل على هذا الرأي.<sup>(46)</sup> اذن القضاء على داعش يحتاج لبرنامج شامل تحتوي على ازالة الاسباب التي مهدت الارضية لظهور داعش . وهذا ما لا نراه في العراق وسوريا في المستقبل المنظور. نشر موقع ميدل ايست بريفيك في واشنطن تقريره الشهري في حزيران بعنوان (حقوق الألغام الاستراتيجية في مرحلة ما بعد داعش في سوريا والعراق) . يعتبر هذه التقرير قراءة دقيقة للنتائج التي تؤول اليها الاحداث في كل من سوريا والعراق. يقول معدو التقرير، يخطأ من يتصور أن هزيمة تنظيم الدولة يعني نهاية الازمات في حكم البلدين . ويضيف التقرير سيذكر مراقبوا الاحداث ان ازمة داعش فقط مرحلة قصيرة ودموية في تطور عملية أعمق وأكثر تعقيدا من التحول السياسي في سوريا والعراق وما ستركه الصراع الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وايران للهيمنة والنفوذ داخل سوريا والعراق.

فهناك صراع وتناقض في الاهداف والمباديء والاستراتيجيات المتبعة بين ايران و الولايات المتحدة في هذين البلدين . تركز الولايات المتحدة فقط على هزيمة داعش وضمان الاستقرار السياسي للحفاظ على مصالحها في المنطقة من خلال دعم نظام ديمقراطي علماني فيدرالي في البلدين . ففي المشهد العراقي تستهدف إيران السيطرة على المنطقة الممتدة من حدود العراق مع سوريا في الغرب إلى نقطة قريبة من خانقين على الحدود مع إيران. وان إيران حتى لا تنكر نيتها للسيطرة على تلك المنطقة من خلال أتباعها خاصة الاحزاب والمليشيات التابعة لها. وتسعى إيران لإقامة جسر من الحدود العراقية الشرقية الى الساحل السوري على البحر المتوسط. وان هذه الاستراتيجية تقتضي بناء جسر التواصل مع حزب الله في لبنان . واوكلت هذه المهمة لفيلق قدس وقائده قاسم سليمانى ، ويتطلب هذه الاستراتيجية افرغ قسم كبير من الوسط السني من سكانها والهيمنة عليها من خلال المليشيات التابعة لها في العراق . لذلك نرى ان اعضاء هذه المليشيات يرفضون أن يغادروا أية بلدة سنية تتحرر من داعش. وفي كثير من الحالات، حتى أنها ترفض السماح للقرويين الذين فروا من القتال في العودة إلى ديارهم.<sup>(47)</sup>

اما في المشهد السوري وعلى غرار المهمات التي اوكلت لسليمانى للسيطرة على وسط العراق، اوكل ايران لبشار الاسد مهمة مماثلة . قال بشار الأسد في 7 حزيران من هذا العام ، انه سوف يستعيد «كل شبر في سوريا».<sup>(48)</sup> كلا الهدفين تتماشى مع استراتيجية إيران الإقليمية المذكورة أعلاه. وهذا يختلف مع أهداف الولايات المتحدة لتحقيق الاستقرار في بلاد الشام والعراق. ولكن في حين يتعثر التزام الولايات المتحدة على المدى الطويل باستراتيجيته مع مرور الوقت، من المعروف أن إيران تتحلي بالصبر والنفس الطويل في تطبيق استراتيجيته. وكما في العراق ستقوم ايران بدعم نظام الاسد من

---

(47) - Iraq's Shia Militias Accused of War Crimes in Fight Against ISIS - The ...

[www.thedailybeast.com/.../iraq-s-shia-militias-accused-of-w...](http://www.thedailybeast.com/.../iraq-s-shia-militias-accused-of-w...)

(48) - الأسد يتعهد بمواصلة القتال و"استعادة كل شبر من سوريا" | أخبار | DW ...

[www.dw.com/ar/.../الأسد-يتعهد...كل-شبر-من-19312456-a](http://www.dw.com/ar/.../الأسد-يتعهد...كل-شبر-من-19312456-a)

خلال المليشيات العراقية والبنانية والافغانية والحرس الثوري الايراني لادامة حكم الاقلية العلوية المتحالفة معها في دمشق. وهذا تصادم مع المشروع الامريكي الذي تحاول تطويره ، مع الدعم الروسي والتنسيق معه، لمستقبل سوريا ما بعد داعش المستند الى نظام لامركزي علماني. والفكرة هي مشروع الدستور الذي يناقش حاليا مع الروس والقوى الاخرى ذات العلاقة بالتفصيل. وتقوم ذلك على تقسيم سوريا إلى مناطق مختلفة؛ سيتم ادارة كل وحدة ادارية من قبل «اللجنة الإقليمية». وسيتم اختيار أعضاء اللجان الإقليمية من خلال الانتخابات في كل منطقة بشكل مستقل.وعلاوة على ذلك، سوف يكون هناك اثنين من الهيئات الوطنية: المجلس الأقليمي التي تضم ممثلين عن كل لجنة إقليمية و «مجلس الشعب» الوطنية. في حين أن الحكومة ستمارس بعض المسؤوليات التي كانت حصرية سابقا للرئيس. الرئيس، وفقا للمشروع، يحتفظ بالحق في تعيين وزراء وله قيادة شبه مطلقة للجيش وقوات الأمن.<sup>(49)</sup> اذن ان هناك تعارض واضح للرؤية المستقبلية. فالرؤية الايرانية تحاول اعادة صياغة الامر الواقع :نظام الاقلية العلوية في سوريا والاكثية الشيعية في العراق الذي ساعد كثيرا على ظهور التطرف السني في البداية باسم القاعدة ومن ثم داعش . لذلك ستستمر التطرف بين الاكثية السنية في سوريا والاقلية السنية في العراق التي تعاني حاليا من الابداء والتهميش السياسي . كما ان النموذج الايراني يتجاهل المكون الكوردي السني والقومي في كل من العراق وسوريا. وقد تلجأ ايران الى استمالة الدعم التركي للقضاء على المطامح الكوردية في سوريا ممثلة بحزب الاتحاد الديمقراطي المرتبط ب حزب العمال الكوردستاني . وان «حملة درع الفرات» قد تتطور الى اطارات اكبر واوسع. ولكن التحالف الايراني-التركي بدوره هش ايضا لانها تتعارض مع دعم تركيا لطموحات السياسية لعرب السنة في سوريا التي ترتبط منظماتها السياسة (خاصة المجلس

---

(49) - Strategic Minefields in the Post-ISIL Syria and Iraq | Middle East Briefing  
mebriefing.com/?p=2372

(50) - The regional impact of U.S. policy toward Iraq and Syria | Brookings ...  
<https://www.brookings.edu/.../the-regional-impact-of-u-s-po>



الوطني السوري والجيش السوري الحر) بعلاقات وطيدة مع تركيا. اما في العراق فان السيناريوهات المتوقعة لا توحى بكثير من الامل لمستقبل العراق بعد طرد داعش من موصل ايضا.

وكما ذكرنا اعلاها ان الاهداف الاستراتيجية الايرانية في العراق هو «ايرنة العراق» اي اعادة بناء النموذج الايراني في العراق ايضا. من خلال الاستمرار في دعم مؤسسات الدولة الغير الديمقراطية حيث تهيمن عليها الميليشات الموالية لها والتي وصلت عددها لاكثر من 37 منظمة وان اجمالي قواتها اكثر من 100 ألف مسلح وهي ذات ولاءات عديدة وغير منضبطة وتخضع معظمها لمكتب ولي الفقيه او الحرس الثوري و فيلق قدس مباشرة.<sup>(51)</sup> وهذا يتعارض مع سياسة الولايات المتحدة الامريكية المساندة لحكومة العبادي والجيش العراقي وتمكين العبادي لبناء حكم ديمقراطي مدني تدعمه المؤسسة العسكرية والغاء مؤسسة الحشد او ضمها في المؤسسة العسكرية العراقية في مرحلة ما بعد داعش. كما تسعى الولايات المتحدة الى تمكين العبادي من الغاء التهميش الذي تعاني منه السنة من خلال اعطاء القدر الكبير من اللامركزية للمحافظات في ادارة شؤونها وتشجيع نظام الاقاليم في العراق الذي ينص عليه الدستور العراقي والذي سيضمن المشاركة السياسية المنشودة في ادارة العراق لعرب السنة وتأسيس قوة للسنة باسم الحرس الوطني وتحسين العلاقات مع اقليم كوردستان . حتى الان تعارض القوى الموالية لايران كل هذه السياسات، وحيدر العبادي مشلول الازاء هذه السياسات.<sup>(52)</sup>

باختصار، ان سياسة ايران في العراق ، كما يقول مايكل نايتس، الباحث في مؤسسة واشنطن للدراسات الامنية والعسكرية : « هو «لبننة» العراق وتحويل العراق الى حزب الله الكبير في الشرق الاوسط . علما ان العراق تملك ثروة

---

(51) - Iran's Role in Iraq: Room for Cooperation? - RAND Corporation

[www.rand.org/content/dam/rand/pubs/.../RAND\\_PE151.pdf](http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/.../RAND_PE151.pdf)

(52) - The regional impact of U.S. policy toward Iraq and Syria | Brookings ...

<https://www.brookings.edu/.../the-regional-impact-of-u-s-po...>

نفطية وكثافة سكانية اكبر من ذلك الموجود في لبنان وستساعد ايران في تنفيذ الاجندات الايرانية في منطقة الشرق الاوسط وستتحول قريبا الميليشيات العراقية الى القوة العسكرية الضاربة والاقوى في العراق. ومن المؤسف ان سياسة اوباما الغير حكيمة بالنأي من الشرق الاوسط تمكن ايران من تنفيذ اجندتها في العراق. وان قواتنا المسلحة وخاصة القوة الجوية الامريكية تساعد الميليشيات الموالية لايران في العراق لتنفيذ هذه الاجندة الايرانية».<sup>(53)</sup>

واستنادا الى ما ورد من تصريحات من المسؤولين الشيعة في الحكومة المركزية بصدور الكورد في معركة موصل ان مرحلة ما بعد طرد داعش من موصل ستشهد صراعا بين الكورد والحكومة المركزية حول العديد من المسائل التي ارتأت الطرفين الى تأجيلها بسبب التهديد الذي يشكله داعش للطرفين. ولكن يصر الجانب الحكومي في بغداد على اعادة النظام الاداري المهيمن عليها من قبل الشيعة (سياسة مالي في الموصل) في مرحلة قبل دخول داعش للمدينة. وهذا ما لا ترضى بها لا الاطراف السنية العربية ممثلة بمجلس ادارة المحافظة في الموصل ولا حكومة اقليم كردستان.<sup>(54)</sup> وقد حذر ديفيد بتراويس، الذي كان ضابط استخباراتي امريكي متنفذ في موصل لفترة بعد الغزو الامريكي للعراق، من اعادة سياسة مالي في المحافظة والتي ستؤدي حسب رأيه الى استمرار الاوضاع وتقوية التطرف السني. وأوصى بنوع من الادارة اللامركزية التي تمكن كل المكونات العرقية والدينية بنوع من الادارة الذاتية.<sup>(55)</sup> ويطالب بعض من قادة السنة العرب في كتلة المتحدون بتحويل موصل الى اقليم مع قدر من اللامركزية لوحداتها الادارية. وتطالب حكومة اقليم كردستان بالحاق الوحدات الكوردية ضمن المحافظة الى اقليم كردستان. وكما تطالب بتحويل

---

(53) - Iranian Influence in Iraq: Between Balancing and Hezbollazation ...

[www.washingtoninstitute.org/.../iraq-and-iranian-influence-...](http://www.washingtoninstitute.org/.../iraq-and-iranian-influence-...)

(54) - Mosul After the Islamic State: The Kurdistan Region's Strategy ...

[carnegieendowment.org/.../mosul-after-islamic-state-kurdista...](http://carnegieendowment.org/.../mosul-after-islamic-state-kurdista...)

(55) - US ex-spy chief urges US influence in running Mosul in ...

[https://article.wn.com/.../US\\_exspy\\_chief\\_urges\\_US\\_inf...](https://article.wn.com/.../US_exspy_chief_urges_US_inf...)

سهل نينوى وسنجار الى محافظة خاصة لضمان الحقوق الدينية والقومية للكورد الازديين و الكورد الشبك و المسيحيين و الكلدان.<sup>(56)</sup> ومن ثم تلحق هذه المحافظة باقليم كوردستان . وتعارض الحكومة المركزية هذا المطلب الكوردي. وقد صرح اكثر من مسؤول شيوعي في بغداد بأن هذا المطلب هو «استفزازي من قبل مسعود البارزاني»، ولا تمثل رأي هذه الاقليات . وقامت المنظمات الشيعية بدورها بتأسيس وحدات للحشد من بين تركمان الشيعة في الموصل والشبك والازيدية والمسيحية لاستخدامها ضد قوات البشمركة بعد معركة الموصل.<sup>(57)</sup>

وهناك الكثير من مناطق الخلاف بين الحشد الشعبي وقوات البشمركة في محافظة صلاح الدين وكركوك التي ستنفجر بعد معركة الموصل. من الجدير بالذكر تسليح الحكومة المركزية و وحدات من الحشد من الشيعة التركمان للهجوم على بعض المناطق المتنازع عليها في كركوك وصلاح الدين. وتشكل مدينة كركوك وطوزخورماتو وسنجار النقاط المهمة التي من الممكن ان يتحرك منها الحشد ضد الكورد. حيث صرح العديد من المسؤولين الشيعة بانهم لن يسكتوا على ما يعتبرونه الاحتلال الغير الشرعي للمناطق المتنازعة عليها. يكفي ان نذكر هنا قد صرح العبادي في 17 من اب من انه على البشمركة الانسحاب من جميع هذه المناطق التي حررتها البشمركة منذ عام اثناء الصراع ضد داعش ، وقال كاظم المعيني الناطق باسم قوات بدر ، مثلا، « لن نسكت على كركوك ابدا».<sup>(58)</sup>

وكما ستقوم ايران في ظل الانفتاح القادم من حكومة يلدرم بن علي في تركيا تجاه ايران وبغداد باستغلال هذا الانفتاح للضغط على انقرة في كبح جماح الكورد للاستقلال السياسي وخاصة مسألة الاستفتاء والاستغناء الاقتصادي من

---

(56) - Mosul minorities call for independent administration post-ISIS - Rudaw  
rudaw.net/english/middleeast/iraq/210720162

(57) - بغداد تردّ على «شروط» أربيل قبل معركة الموصل: البشمركة قوة إرهابية إذا ...  
www.al-akhbar.com/node/261972

(58) - www.nrttv.com/AR/Detail.aspx?jmare=27067

بغداد. علما ينوي الرئيس اردوغان بزيارة كبيرة مرتقبة الى كل من بغداد وطهران قريبا. ومن المتوقع ان تغري بغداد انقرة بمحفزات اقتصادية وذلك من خلال اعطاء سهم للشركات التركية في عمليات التنمية في الاستثمار في مجال استخراج وتصدير النفط العراقي ومشاريع الاعمار في العراق في مرحلة ما بعد داعش. وكما ستقوم ايران وبغداد في المستقبل القريب باغراء انقرة بتقديم دعم له في صراعها مع الحزب العمال الكوردستاني PKK وهذه من المحفزات التي تصعب على تركيا مقاومتها.

وضمن خطة تقضي الى اضعاف حكومة اقليم كوردستان واحتوائها تقوم الحكومة المركزية باستغلال الأزمة السياسية الموجودة في اقليم كوردستان . وتتعلق الازمة بالصراع السياسي الموجود بين تحالف حركة التغيير- والاتحاد الوطني من جانب وحزب الديمقراطية الكوردستاني من جانب اخر حول اسلوب ادارة الحكم في اقليم كوردستان. حيث تقوم الاحزاب الشيعية في المركز باستمالة تحالف التغيير-الاتحاد الوطني عبر مجموعة من الاغراءات الاقتصادية. وان هذا التعامل الاحادي من قبل بغداد مع القيادات الكوردية في السليمانية وتفادي مسعود البارزاني ، وحكومة اقليم كوردستان في اربيل ، تجسد مؤخرا في اللقاءات العديدة من هذا النوع وكان اخرها زيارة نوري المالكي الى السليمانية واعطائه مجموعة من الوعود مقابل تحالفهم مع كتلته<sup>(59)</sup> وتساعد ايران بدوره ايضا الاحزاب الشيعية في بغداد في هذه المحاولة لتفتيت الصف الكوردي من خلال العديد من الوعود الاقتصادية لادارة السليمانية. يبدو ان حكومة بغداد تحاول نسخ تجربة الحكومات العراقية في الستينات من القرن الماضي باحتواء الحركة الكوردية بشق صفها من الداخل. واتصلت الحكومة في بغداد في الونة الاخيرة بمجموعة من رؤساء العشائر المعادين للبارزاني ومن المرتزقة القدماء في الموصل ومناطق بهدينان. وتم ذلك بطرق سرية وقنوات غير رسمية ويتم توجيه الدعوة لهم للسفر الى بغداد لكسبهم

---

(59) - Baghdad Assists Tehran in Dividing the KRG: Why Nouri al-Maliki ...

[www.orsam.org.tr/index.php/Content/Analiz/4733?c=orsam%7Carabic](http://www.orsam.org.tr/index.php/Content/Analiz/4733?c=orsam%7Carabic)

للانضمام الى الحشد الشعبي. واذا كان التاريخ يخدمنا كدليل لفهم الصراع والمواجهة المحتملة بين المركز والكورد ، نستطيع ان نتوقع ان تبدا الحكومة المركزية الصراع مع اقليم كردستان حول المناطق الكوردية في الموصل . ان المواجهة مع بيشمركة الحزب الديمقراطي الكوردستاني سيؤجج الصراع في البيت الكوردي ايضا ويضعف موقف حكومة اقليم كردستان تجاه بغداد . ولكن الاقدام على الهجوم على قوات اقليم كردستان في الموصل ، او في اي منطقة تابعة لاقليم كردستان ، رغم قناعتنا بان الحكومة المركزية ستحاول ذلك كبديل لضعاف اقليم كردستان ، امر محفوف بالمخاطر. حيث ان الحكومات الغربية ، خاصة حكومة ولايات المتحدة الامريكية ، اكتسبت مصالح اقتصادية وامنية وسياسية في اقليم كردستان وسوف لن تسكت على أي تهديد من هذا القبيل من قبل حكومة العبادي. وكما ان من المتوقع ان يؤدي اي مواجهة من هذا القبيل الى ملزمة البيت الكوردي وانسحاب الكورد من حكومة بغداد وان تطالب الاطراف الإقليمية ، خاصة تركيا ، من السنة العرب بالاقدام على العمل نفسه. وستفقد الحكومة في بغداد مصداقيتها وتصبح فريسة سهلة للسقوط بيد المتطرفين من الساسة الشيعة من امثال نوري المالكي المتحالف مع ايران.

## توصيات الدراسة

في الحقيقة ان وضع الاستراتيجيات والسياسات المستقبلية للحركة الكوردية في هذه المرحلة المحورية من تاريخ الحركة الكوردية امر ليس هين وانها عمل جدير بأن تقوم بها مؤسسات مختصة think tank ولكن قد يخدم نتائج هذا البحث لوضع بعض اللمسات العامة والأولية لاستراتيجية الحركة الكوردية في مرحلة ما بعد داعش والتي نأمل ان يكون موضع نقاش بين الأطراف المعنية لاغنائها.

### الوضع في غربي كوردستان أو (كوردستان سوريا)

يبدو ان القوى الكوردية السورية حققت بعض النجاح في مجال تثبيت الحقوق القومية في الجزء الغربي من كوردستان ولم يكن ذلك بيسير على الاطراف المعنية. فحقق المجلس الوطني الكوردي في سوريا ENKS في المجال السياسي الكثير من المكاسب السياسية، وكان اخر هذه المكاسب هو حصوله على مقعد في مؤتمر جنيف الثانية كمثل للكورد. وكما حققت قوات وحدات الحماية الشعبية YPG التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي PYD الكثير من المكاسب من خلال فرض سيطرتها على مسافة غير قليلة من الشمال السوري المحاذي لتركيا.

وكما استتاع هذا الحزب من بناء صلات وثيقة مع أطراف التحالف الدولي ضد داعش والتي من الممكن الاستفادة منها في فترة ما بعد داعش اذا راع حزب الاتحاد الديمقراطي النقاط التالية في مسيرتها السياسية المقبلة:  
أولا، الواقعية في طرح الشعارات وفي التعامل مع القوى المحلية في سوريا والقوى الاقليمية.

ثانيا، اجراء مراجعة جريئة وجذرية لسياستها الحالية في التعامل مع القوى

## الكوردية والدول الاقليمية والدولية:

ونود هنا ان نشير الى دراسة ميدانية قيمة قام بها معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى والشرق الأوسط ومنشور باللغتين الانجليزية والعربية: والمعنونة ب (مستقبل الكورد بعد داعش في الشرق الاوسط :استدامة كوردستان سوريا والاستراتيجية الإقليمية لـ «حزب العمال الكوردستاني»).

### ومن اهم نقاط هذه الدراسة:

إن تأسيس أي كيان سواء كان ادارة ذاتية وكانتونات او كيان فيدرالي في غرب كوردستان او حتى كيان مستقل بحدودها الحالية صعب الاستدامة (الاستمرارية) وذلك لافتقاده على كثافة سكانية صلبة ومتماسكة من الكورد. فيشكل الغير الكورد في كثير من هذه المناطق الواقعة تحت سيطرته اكثر من 70%. قد يسهل على الاتحاد الديمقراطي اقناع السريان وغيره من الاقليات بالبقاء ضمن كيانه بعد حرب داعش، ولكن يصعب احتواء العرب والتركمان ضمن هذا الكيان.

ومن الغير الممكن لهذا الكيان الديمومة والبقاء لافتقاده على اسس اقتصادية سليمة: فهناك ندرة المياه والصعوبة في تصدير بعض مواد الخام ، خاصة النفط والغاز والمواد الزراعية التي تسيل لها لعاب النظام في دمشق ، ولا تملك الكيان الكوردي اي منافذ دولية غير المنافذ البرية الى تركيا و اقليم كوردستان الجنوبية.

قبل الحرب، تعمّد نظام الأسد الإبقاء على تخلف المناطق الكوردية، وذلك أساساً كوسيلة لتحفيز الكورد على الهجرة إلى المدن الكبرى حيث يمكن تعريبهم بسهولة أكبر. وبالمثل، جرى التعامل مع منطقة الجزيرة كنوع من «مستوطنة داخلية» مكرسة فقط لإنتاج الحبوب والقطن. واليوم، لاتزال الزراعة هناك تقليدية جداً وتعاني بدرجة كبيرة من ندرة المياه منذ مطلع القرن. فقد أدى الاستهلاك المفرط للمياه على الجانب التركي من الحدود إلى تخفيض الإمدادات في شمال سوريا، ولم يقدّم نظام الأسد بأي محاولة جادة لحلّ هذه المشكلة.

وخلافاً لوادي الفرات حيث يحصل المزارعون على كميات وافرة و رخيصة من المياه بفضل مشاريع الريّ الحكومية، تعتمد مزارع الجزيرة على مياه الآبار الخاصة. وفي السنوات التي سبقت الحرب، تسبّب الجفاف وارتفاع سعر وقود المضخّات الآلية بثلاثة أضعاف بانخفاض كبير في المساحات المزروعة في الحسكة (انظر المرصد السياسي 2622، «قضايا المياه ذات أهمية حيوية لاستقرار» وادي الفرات» في سوريا). بالإضافة إلى ذلك، إن تحكّم الكورد بـ (سدّ تشرين) على نهر الفرات قد يوفّر الفرص لتطويع الريّ في غرب كوردستان التي تعاني أيضاً من نقص في الإمدادات. بيد، إن جهوداً كهذه قد تخلق على الأرجح مشاكل مع المزارعين العرب الذين يعيشون في اتجاه مجرى النهر. وهذا يتطلب إيجاد علاقة جيدة مع اي نظام سيؤسس في دمشق.

كان حزب الاتحاد الديمقراطي يأمل من ربط كاتونات كوباني وعفرين من خلال الممر المار في جرابلس الوصول من هذ الشريط الى البحر الابيض المتوسط. فليس في امكانيات حزب الاتحاد الديمقراطي العسكرية عمل ذلك في ضوء التطورات العسكرية التي وقعت على ارض الواقع بعد عملية «درع الفرات» والتي تمت بمباركة غربية واقليمية وحتى بدعم خفي من النظام في دمشق. فالاجواء الدولية والاقليمية الحالية لاتساعد للوصول الى هذا المنفذ الذي كان حزب الاتحاد الديمقراطي يأمل تحقيقه.

اذن ليس هناك امام أكراد سورية خيارات سياسية كثيرة في المستقبل المنظور غير التعامل بواقعية مرنة مع القوى المحلية والاقليمية والدولية وتأقلم مشاريعها مع المستجدات الجديدة. وهنا من الممكن اجراء بعض المراجعات الجريئة والجذرية في السياسة المتبعة تجاه القضايا التالية:

### 1 - سياسة تمّين الصف الوطني

يجب ان يدرك الاطراف المنضوية في المجلس الوطني الكوردي في سوريا الحجم الحقيقي لوجودها السياسي والعسكري والتعامل مع حزب الاتحاد الديمقراطي بواقعية والنفس الطويل لتحويل مؤسسات غربي كوردستان الامنية والعسكرية التي اسستها الاتحاد الديمقراطي الى مؤسسات شاملة للجميع وديمقراطية.



2- كما من الضروري جدا ان ينأى حزب الاتحاد الديمقراطي بنفسه عن حزب العمال الكوردستاني المصنف ارهابيا من قبل المجتمع الدولي اذا ارادت ان تستمر بعلاقتها مع الغرب بعد حرب داعش. فالساسة الغربيون يتعاملون معه حاليا بكونه حليف عسكري ضد داعش ليس اكثر. وهذا يقتضي فك الارتباط الكامل لتنظيميا وعسكريا وسياسيا مع PKK ولكن هذا لا يعني اعلان العداء بينهما.

3 - اذا اراد الكيان الفيدرالي في غرب كوردستان الديمومة والبقاء فان ذلك يقتضي تحسين العلاقة مع اقليم كوردستان وخاصة مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه مسعود البارزاني ، حيث ان المناطق الواقعة تحت سيطرة الحزب الديمقراطي الكوردستاني مناطق متاخمة لغرب كوردستان. وهذا يوفر لغرب كوردستان منافذ خارجية اقتصادية وامنية وسياسية لا يمكن الاستغناء عنها في المرحلة القادمة.

4- كما ان لأقليم غرب كوردستان حاليا حدود تقارب 600 كم مع تركيا وهذا المنفذ الخارجي الوحيد له وان تركيا دولة اقليمية ودولية مهمة وان العداء معها لاتخدم تركيا ولا غرب كوردستان، فمن الضروري من الطرفين مراجعة مواقفهما. وهنا يمكن الاستفادة من تجربة العلاقة بين تركيا واقليم كوردستان في العراق . حيث تميزت في البداية بالسلبية ولكن مع الوقت غلبت الواقعية والمصالح المشتركة على الطرفين فاصبحت لتركيا في اقليم كوردستان الكثير من المصالح واصبحت لديها قناعة بان اقليم كوردستان ليس فقط لا يهدد الامن الوطني التركي بل ايضا عامل لتقوية العملية السلمية في تركيا وشريك اقتصادي لايمكن الاستغناء عنه.

وان تطبيع العلاقة مع تركيا يتطلب تقوية العلاقة بين حزب الاتحاد الديمقراطي والاطراف الكوردية المنظرية في المجلس الوطني الكوردي في سوريا. وهنا يمكن ان يلعب الرئيس مسعود البارزاني دورا مهما في تطبيع العلاقة بين حزب الاتحاد الديمقراطي وتركيا.

كما ان تطبيع العلاقة بين حزب الاتحاد الديمقراطي وتركيا مرتبط الى حد غير

قليل بأحياء العملية السلمية في تركيا وفي تصورنا ان الوقت المناسب حالياً بأن تعلن PKK من جانب واحد وقف اطلاق النار لتهيئة الاجواء وأن يقوم الرئيس مسعود البارزاني واطراف دولية اخرى بطرح مشروع للسلام. والمثل يقول اذا جاء الرياح العاتية من الافضل ان تنحني وتنكس رأسك حتى لا ينكسر رقبتك. هناك اليوم رياح اقليمية ودولية تعصف بالشرق الاوسط وهي لاتسير بالتأكيد لصالح الكورد ومن الضروري ان يكون التعامل معها بواقعية. وان حزب العدالة والتنمية التركي الحالي لازال الطرف التركي الوحيد الذي يمكن ايجاد حل سياسي معها للمسألة الكوردية في تركيا.

### مستقبل الوضع في اقليم كوردستان

يعيش اقليم كوردستان ازمة سياسية خانقة واذ لم يتم معالجة الوضع بالسرعة الممكنة، فان الاوضاع ستتفاقم اكثر وقد يستغلها الخصوم المحليين والاقليميين هذه الازمة المتفاقمة لصالحها.

من خلال دراستنا تبين لنا أن الصراع الحتمي والقادم في مرحلة ما بعد داعش سينطلق بعد حرب موصل مباشرة وان هناك اكثر من سبب بأن يتخذ الصراع المستقبلي مع الحكومة المركزية في بغداد طابعا عسكريا في اكثر من نقطة تماس بين القوات العراقية والبيشمركة، خاصة بين فصائل الحشد الشعبي غير المنضبطة والمشبعة بالايديولوجية الشمولية والتعبوية المعادية للكورد. كما بات الكورد بعد هزيمة داعش والتشتيت الحاصل في البيت السني العراقي، القوة الرئيسية في مواجهة فرض الهيمنة الايرانية الكاملة على العراق. هناك الكثير من البوادر تشير إلى عدم جدية وحتى قدرة حكومة العبادي في حل الازمات العالقة مع اقليم كوردستان. وقد تلجأ الحكومة تحت تاثير المتشددين في كتلة دولة القانون لبدء سياسية المواجهة بدلا من حل المشاكل العالقة بين الطرفين. وعلى الاكثر ان الصدام المسلح سيفرض نفسه بين حكومة اقليم كوردستان والقوات العراقية وسيكون ذلك رغم ارادة العبادي والتحالف الدولي

ضد داعش، وبتحريك القوى الموالية لايران.

رغم اقرارنا بأحقية ومشروعية قضية الاستفتاء في كردستان، نرى ان التحالفات الاقليمية الجديدة لاتسير لصالح الاستفتاء، وان من الافضل ان يؤجل هذا الموضوع حاليا، حتى لا تستفز الدول الاقليمية وتدفعهم الى عمل عدائي ضد اقليم كردستان. ويمكن طرح الاستفتاء في المستقبل اذا توافرت الظروف المؤاتية لها وفي الحالات التالية:

1 -انهاء الازمة السياسية الحالية التي سببت تعطيل البرلمان وذلك من خلال طرح مبادرة وطنية جريئة من قبل كاك مسعود البارزاني لانهاء الخلافات مع تحالف التغيير- الاتحاد الوطني. أو يطلب من قادة الاحزاب والشخصيات الكوردية طرح مبادرات لانهاء الازمة الحالية، لأن كردستان مقبلة على تطورات مصيرية وبحاجة الى جبهة داخلية متماسكة. وفي تصورنا رغم وحشية وشراسة داعش كان خصما اسهل من الخصم القادم: قوات الحكومة المركزية والحشد الشعبي التي لايقبل شراسة من داعش و يحظى بدعم السلطة المركزية وتتحجج بالشرعية والقانون والوطنيين ومساندة قوة جوية واسناد مدفعي ودعم دولة اقليمية مثل ايران. يملك اقليم كردستان اليوم دعما من الشرعية الدولية ضد داعش ولكن من الصعوبة جدا تحقيق هذا الدعم ضد السلطة المركزية. وسينظر الكثير من حلفاء اقليم كردستان اليوم الى اي مواجهة له مع بغداد باعتباره مسألة داخلية عراقية. وكما اشرنا اليه اعلاه ستسعى ايران والقوى الموالية لها في بغداد باستغلال الازمة الحالية باحداث شرخ في الصف الكوردي قبل او اثناء المواجهة القادمة مع بغداد.

2 - انفجار الازمة في العراق اما في اثناء حدوث مواجهات بين الفصائل الشيعية المسلحة وسقوط الحكومة في بغداد. او في حالة حدوث تدهور امني كبير واستفحال امر السلطة المركزية ودخولها حرب طائفية اكبر مما تجري الان. وكانت الفترة 2014-2016 فترة مؤاتية لاعلان الاستقلال او اجراء الاستفتاء ولكن فاتت تلك الفرصة من يد الكورد تلك. اذن على الكورد التريث في عدم طرح الاستفتاء في الوقت الحاضر وانتظار الوقت المناسب.

3-انتظار نتائج الانتخابات الامريكية والتريث لما ستطرحه الحكومة القادمة في واشنطن من سياسات تجاه المسألة الكوردية و العراق.

4 - بعد حل الازمة السياسية في اقليم كوردستان وانتظار لما ستؤول اليه الاحداث في فترة ما بعد داعش في بغداد يقوم اقليم كوردستان اولا باقامة الاستفتاء ومن ثم يقوم بارسال وفود الى الدول الاقليمية والقوى الكبرى لشرح نتائج الاستفتاء والاسباب التي تحدو بهم الى طلب الاستقلال من العراق. ومن ثم تقوم سلطات اقليم كوردستان بالتفاوض مع بغداد حول الية الانفصال السلمي. فرغم ان الاطراف الشيعية تعد كوردستان العقبة الرئيسية في مسعاهم لتأسيس كيان يآتمر بأمر ولي الفقيه والهيمنة الايرانية الكاملة على العراق، إلا أنهم سيحاربون الكورد شبرا بشرا للحصول على معظم المناطق الكوردية المتنازعة عليها، خاصة أفضية صلاح الدين وكركوك المركز واقضيتها التركمانية والعربية. وسيلجئون إلى تسليح قسم من السنة العرب والشيعية التركمان لهذا الغرض. ان دراسة متأنية لكيفية تعامل الفصائل الشيعية مع السنة العرب وقياداتهم وفصائلهم المختلفة تبين بكل وضوح بانهم يتعاملون مع الخصوم بمنتهى الواقعية ويعلمون بأن العراق الديمقراطي الوطني الشامل لكل الاطياف والمذاهب غير موجود على أرض الواقع. لذلك في حروبهم مع الخصوم من السنة والكورد يعرفون انهم يرسمون حدود دولتهم بالدم.

5-قد تتمخض نتائج الانفتاح التركي تجاه ايران وبغداد بعد معركة الموصل باتفاقيات اقليمية التي قد تؤثر سلبا على علاقات تركيا مع اقليم كوردستان. لذلك فاقليم كوردستان مطالب بأخذ المبادرات التي تعطيه اهمية اضافية عند الحكومة التركية مثل مبادرة تجاه التركمان في كركوك واعطائهم مكاسب في ادارة كركوك. وكما اسلفنا الاشارة اليه المساهمة في احياء العملية السلمية في تركيا واعطاء الشركات التركية امتيازات اقتصادية تضاهي ما ستقدمه لهم بغداد.

باختصار، ستكون مرحلة ما بعد معركة الرقة والموصل مرحلة مفصلية وصعبة للحركة الكوردية وبإمكان الكورد الاحتفاظ ببعض المكاسب التي حققوها

بشرط أن يتعاملوا مع المستجدات الجديدة بواقعية وتمتين وحدة الصف والاقتصاد فيما يطرحون من أهداف قومية.

رغم انهيار العملية السلمية في تركيا يجب النظر بجدية في خلق فرص لحياتها من جديد. إن العلاقات الايجابية مع تركيا في وجود حزب العدالة والتنمية في الحكم ستفيد الكورد في غرب كوردستان واقليم كوردستان وتركيا. وإن هذا التحالف هو خير ضمان للوقوف بوجه نزعة جامحة عند ايران للهيمنة والتوسع ونشر عقيدته الشمولية قي الشرق الاوسط والتي في تصورنا هو الوجه الاخر للداعشية.

## الرقعة وحلم التحرير

### فرحان المطر

كاتب و صحفي سوري (من الرقعة) مقيم في فرنسا.

#### مدخل

إنها لمفارقة حادة تلك التي تعيشها الرقعة اليوم في ظل سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية المعروفة باسم داعش على مقدرات الحياة فيها، ومحاولتها تقديم نموذج للحياة وفق مقاييسها، لا يشبه حتى ما كان سائداً في ظل أية سلطة سياسية منغلقة متمتة بحجة الإسلام، أو غيره، حياة تكاد تعود بالإنسان إلى عصور انقرضت ولم يعد لها من وجود سوى في كتب التاريخ، وهو ما يغيّر حقيقة، وطبيعة الحياة التي كان يعيشها، ويعرفها أهل الرقعة.

في الرقعة اليوم يحاولون صناعة الحقد والكراهية في نفوس الناس من خلال القتل اليومي الذي تشهده ساحاتها العامة، حتى أصبح منظر الرؤوس المقطوعة المعلقة على الأعمدة أمراً مألوفاً، ووصل الأمر بسلطات الأمر الواقع أيضاً إلى إقامة حفلات الإعدام في وضح النهار ضمن طقوس سادية غير مسبوقة في وحشيتها، ذبحوا العلويين لمجرد كونهم علويين، وطالبوا الكورد في المدينة بالمغادرة فوراً لمجرد كونهم كورد، وكانت التهم جاهزة ضد الجميع دائماً، وفي كل مرة نرى ونسمع تهمة جديدة، وطريقة جديدة، وأسهل التهم هي الردة، والتعاون مع الجيش الحر، والتحالف، والكورد .

أرغموا الناس على مغادرة المدينة في البداية بعد سلسلة الإعدامات، والاعتقالات العشوائية، وصادروا بيوت الناس الهاربين من الموت، ثم بدأوا بقطع كل أشكال الحياة، والتواصل بين أهل الرقة والعالم الخارجي، فكل شيء أصبح تحت المراقبة الدائمة إلى درجة تفوقت في قمعها، وهمجيتها على ما كان سائداً أيام نظام البعث والأسد في الرقة، فصالات النت أغلقت، عدا عدد قليل خاضع لسيطرتهم، حيث يقومون بتفتيش الهواتف الفردية، ومعرفة الأرقام وأصحابها، والكشف عن الرسائل، والويل لمن يجدون لديه شيئاً مغايراً لتعاليمهم الهمجية في أي شيء.

صادروا أجهزة التلفزيون من البيوت، وحطموها، وأحرقوها في الساحات، وأرسلوا دوريات الحسبة (جهاز الشرطة لدى تنظيم الدولة الإسلامية) إلى البيوت للتفتيش عنها، فالدوريات تجوب المدينة ليل نهار، وهناك كتيبة نسائية لجهاز الحسبة تدعى (الخنساء) تتولى ملاحقة النساء وتطبيق «القوانين الإسلامية» عليهن، عدا عن كل ما يقوم به (الأميون) وهم جهاز الأمن التابع لتنظيم الدولة الإسلامية، بأساليبهم التي لا تختلف عن أساليب المخابرات السورية المعروفة، في الاعتقال، والتحقيق وانتزاع الاعترافات، ومن ثم إخضاع الشخص المعتقل للعقوبات التي تتراوح حسب شدتها من وجهة نظرهم بـ (الجلد) في الساحات العامة، يتبعها ما يعرف بـ (الاستتابة)، و(الدورة الشرعية) التي يجبر فيها الشخص على حفظ عدد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والاستماع إليه وهو الأمر الذي على أساسه يقرر إما أن يتم الإفراج عنه، أو يتم تمديد العقوبة له.

هذا في الأحوال البسيطة مثل (مخالفة التدخين)، أو (اللباس المخالف للشريعة الإسلامية) كما يرونها هم، أو عدم إطلاق اللحية بما يتطابق مع مواصفاتهم حيث يجب أن يكون الحد الأدنى المقبول عندهم هو (حجم قبضة اليد)، أو مخالفة المرأة التي تسير في الشارع وحيدة دون وجود (رجل محرم) يرافقها. أما القضايا الأخرى ذات (الطابع الأمني) كأن يعثرها على شيء يدل على علاقة الإنسان بإحدى الجهات المعادية، مثل الجيش الحر، أو الناشطين المدنيين، أو

أنه صاحب تفكير معادٍ حسب وصفهم، وهنا يقصد أصحاب التوجه العلماني، فهؤلاء مصيرهم القتل، أو الاختفاء وعلى أهلهم أن ينسوا تماماً أمر وجودهم، أو رجوعهم يوماً من الأيام.

أغلقت المدارس ومنع التعليم، وتم احتلال الكنائس ومصادرتها، ومنعت كثير من المهن، وقطعت أرزاق الكثير من الناس لهذا السبب، وذاك.

تم تطبيق الخدمة الإلزامية على الشباب القادرين على حمل السلاح في صفوف تنظيم الدولة الإسلامية بالقوة، كما مورست عمليات غسل الدماغ، باستخدام البروباغندا الإعلامية التي يقومون بها بطرق شديدة التأثير لدى الشباب، الذي وجد نفسه ضائعاً في وجه هذه التغيرات العاصفة التي حدثت بسرعة كبيرة جداً دون أن يستطيعوا فهمها وتحليلها.

أصبح أمراً مألوفاً أن تتم عمليات الوشاية من قبل الأبناء بالآباء وتنفيذ أحكام الإعدام بحقهم بحجة الردة، وشمم الذات الإلهية، أو محاولة الآباء إقناع أبنائهم بالهروب من صفوف جيشهم.

أصبح منظر رجم المرأة في الساحات العامة شبه يومي بحجة الزنا، وهم الذين أباحوا لعناصر تنظيمهم الإجرامي شراء البنات بحجة الزواج، تحت الضغط والإكراه، أو الإغراء بالمبالغ المالية الكبيرة مستغلين حاجة الناس للقمّة العيش بعد الظروف القاهرة التي وصلت إليها الحياة في الرقة على أيديهم. الرقة اليوم تعيش تحت سطوة الموت القادم من السماء في الغارات الجوية شبه اليومية التي يتناوب عليها كل من طائرات النظام السوري، والطائرات الروسية المتحالفة معه، وطائرات التحالف الدولي، وكل ذلك بحجة مكافحة الإرهاب وداعش، على سبيل المثال وليس الحصر:

قامت طائرات النظام السوري يوم الثلاثاء 26.11.2014 بتنفيذ 8 غارات على المدينة في مناطق مختلفة، أوقعت أكثر من 150 شخص بين قتيل وجريح، أغلبيتهم الكبيرة من المدنيين.

مع أن الحقيقة التي يعرفها أهل الرقة جميعاً هي أن الضحايا لهذه الغارات الجوية هم المواطنون المدنيون العزل الذين لاحول لهم ولا قوة، بينما مقرات



(تنظيم الدولة الإسلامية) العنيفة، والمعروفة للجميع حتى دون الاستعانة بالأقمار الصناعية تبقى بعيدة عن الاستهداف، وهو ما يطرح العديد من التساؤلات الجدية حول المغزى من هذا الموت الانتقائي لأهل الرقة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن (تنظيم الدولة الإسلامية) يقوم أحياناً بالاحتفاء بالمدينين واستعمالهم كدروع بشرية.

يأتي هذا في نفس الوقت الذي يعاني فيه أهل الرقة من الموت على الأرض بأيدي مسلحي تنظيم الدولة الإسلامية لأتفه الأسباب.  
السؤال الذي يبدو مشروعاً هنا:

لماذا كل هذه الغارات التي تقوم بها طائرات النظام السوري على الرقة؟! يرى الخبير العسكري الاستراتيجي اللواء فايز الدويري سببين اثنين لا ثالث لهما يفسران هذا الاستهداف للرقة.  
الأول: «لأن مدينة الرقة عاصمة دولة الخلافة، فإن مهاجمتها من قبل قوات النظام تمنحه حسب اعتقاده، شهادة حسن سلوك من قبل دول التحالف، مما يؤهله للحاق بها باعتباره قوة فاعلة في محاربة تنظيم الدولة يمكن الاعتماد عليه».

الثاني: «التركيز على الرقة يمثل محاولة من النظام لمعالجة بعض حالات التدمير التي بدأت تظهر وتنتشر في قاعدته الاجتماعية المؤيدة بسبب الخسائر الكبيرة التي تكبدتها خلال السنوات الماضية».  
(موقع: الجزيرة - نت). 30.11.2014 اللواء فايز الدويري: غارات الرقة مغالزة للتحالف أم تحول في أولويات الحرب؟!.

الحصيلة أن الناس هناك صاروا بحكم الرهائن، باعتبار أن الخروج من المدينة ممنوع، حتى أصبحت تجارة تهريب البشر من الرقة تجارة رائجة، تصل كلفة خروج الشخص الواحد أحياناً إلى ما يعادل الألف دولار أمريكي، فقط كي يقطع مسافة أقل من مائة كيلومتر هي الكافية لإيصاله إلى الأراضي التركية، بينما كل العالم يبدو أنه غير معنيّ بأمر حياتهم وكأنهم لا ينتمون أساساً إلى بني البشر.

## الرقعة في ظل البعث

لم تكن الرقعة يوماً بالنسبة لنظام البعث، وحكم حافظ الأسد، ووريثه بشار الاسد أكثر من خزان بشري تم استهلاكه بأقصى قدر من الاستفادة، سواء من خلال التجنيد في الجيش، أو كمجاميع بشرية يتم جلبها في المناسبات الخاصة بالبعث، وما يعرف بالحركة التصحيحية حين يقومون بأخذهم بالسيارات الشاحنة، والباصات العامة للمشاركة في المسيرات، والمهرجانات الخطابية المخصصة للدعاية لهؤلاء بحيث يظهر أبناء الرقعة، وكأنهم من غلاة المدافعين عن النظام، وهي ذات النظرة التي أراد بشار الأسد ترسيخها عن أهل هذه المدينة حين قام بزيارتها لأول مرة وأدى صلاة العيد في أحد جوامعها بتاريخ 2016/11/6، غير أن هذه الزيارة وعلى الرغم من كل الإجراءات الأمنية لحماية بشار الاسد فيها لم تنجح بإخفاء أصوات الشباب الذين هتفوا بسقوط بشار الاسد والتي أظهرها البث المباشر لتلك الزيارة على شاشة التلفزيون السوري نفسه.

الرقعة المدينة التي عانت الحرمان والتهميش على يد البعث والأسد بحيث أن أحداً من أبنائها لم يصل إلى رتبة عالية في الجيش أو الشرطة، ولم يصل إلى مرتبة وزير أيضاً، وهي أمور لم تكن بمحض المصادفة، لأنها نتاج سياسة الإقصاء والتهميش المتعمد بحق هذه المدينة وأهلها.

حتى الوظائف العادية داخل المحافظة لم تكن من نصيب أبنائها بالدرجة الأولى، وكانت الأثمان باهظة للحصول على الوظائف الحكومية، من خلال الرشاي والعلاقات المشبوهة مع الأجهزة الأمنية، حتى أن الوصول إلى عضوية ما يعرف بمجلس الشعب السوري لم يكن يمر دون مثل تلك الارتباطات المشبوهة ودفع الثمن المادي المناسب.

دائماً كان ينظر للرقعة من قبل تلك السلطات ذات النظرة التي تشعرهم بالدونية، إضافة إلى الحرمان والتهميش والإقصاء، وطبعاً دفع الكثير من أبناء هذه المحافظة سنوات طويلة من أعمارهم في سجون النظام السوري بحجة الانتماء لبعث العراق، وهي التهمة الجاهزة لأهل المدينة، كما تهمة الأخوان المسلمين.

أورد فيما يلي بعض الأسماء من أبناء الرقة الذين قضوا فترات طويلة في سجون الأسد الأب تراوحت بين التسعة أعوام والستة عشر عاماً، وذلك على سبيل المثال أيضاً وليس الحصر.

اسم المعتقل	الصفة	الحزب	ملاحظات
د. أحمد فائز الفواز	طبيب - عضو اللجنة المركزية والمكتب السياسي	مكتب سياسي - رياض الترك	١٧ سنة
ياسين الحاج صالح	طبيب كاتب ومترجم	= =	١٦ سنة
مصطفى الحاج صالح		= =	١٠ سنوات
خالد الحاج صالح		= =	٩ سنوات
نبيل الفواز		= =	١٤ سنة
خلف الجربوع		= =	٩ سنوات
هيثم الخوجة		= =	١٠ سنوات وتوفي بالسجن
معبد الحسون			١٢ سنة
راشد الصطوف		رابطة العمل الشيوعي	١٥ سنة
فاضل الفاضل		= =	١٥ سنة
عدنان عليان		بعث العراق	١٤ سنة
عبد الرحمن عليان		= =	١٢ سنة
عقلة العبود	عضو قيادة فرع حزب البعث بالرقّة	التهمة بعث عراق	لأنه عارض محمد سلمان محافظ الرقة
خضر العماش	= =	= =	= =
محمد الجدوع	= =	= =	= =

## الرقعة في الثورة السورية

في الأسبوع الأول من اندلاع الثورة السورية، انطلقت أول مظاهرة تطالب بإسقاط النظام في الرقعة بتاريخ 2011/3/25، وكان هناك شكل من الحراك الثوري المنظم، غير أن هذا لم تتم تغطيته إعلامياً بما يكفي، أي أن لعنة التهميش التي مارسها النظام تجاه الرقعة عبر تاريخه، قد أصابها مرة أخرى حين شاركت في النشاطات الثورية المناهضة للنظام، وظهرت كأنها مدينة هادئة ومسالمة ومؤيدة للنظام وهو ما اشتغل عليه سابقاً بكل الوسائل.

تعرض أبناء الرقعة الذين انخرطوا بالثورة السورية لأشد أنواع التنكيل والقمع على أيدي الأجهزة الأمنية السورية، والمليشيات البعثية التشييعية الريفية له، واستخدموا بصورة لافتة للنظر أبناء الريف لقمع المظاهرات المضادة للنظام، بعد أن اتهموا المتظاهرين بالخيانة والعمالة كما في كل المدن السورية.

تأخرت الرقعة كثيراً عن باقي المدن السورية التي شهدت التحول نحو العسكرية، حتى أن المجموعات القليلة التي ظهرت وهي تحمل السلاح وتعلن مقاومتها للنظام لم يكن ينظر لها بعين الجدية من قبل أهل الرقعة أنفسهم، كانت مجموعات قليلة العدد، عديمة الخبرة، لا تملك أية إمكانيات مادية لدعمها، وبالتالي لم يكن هناك من يعوّل على وجودها أي دور حاسم، الأمر الذي أثار الكثير من علامات الدهشة والاستغراب حين قامت تلك المجموعات الصغيرة قليلة العدد والعتاد والخبرة بإحراز النجاحات العسكرية بعد أن استطاعت السيطرة على مدينة تل أبيض الحدودية أولاً، ثم انتزاع السيطرة على مدينة الطبقة ذات الثقل الاقتصادي الكبير بوجود سد الفرات، حتى وصل الأمر إلى محاولة التقدم عسكرياً باتجاه مركز مدينة الرقعة.

كان الأمر أقرب ما يكون إلى العبث إذا نظر إليه بشكل واقعي حسب المعطيات المادية على الأرض.

ثم جاءت معركة ما يعرف بتحرير الرقعة التي بدأت في 2013/3/2 وانتهت يوم 2013/3/4، حيث لم يكن أشد المتفائلين يتصور مثل هكذا نتيجة.

أين تبخرت قوات النظام العسكرية بهذه السرعة؟! وكيف استطاعت تلك المجموعات العسكرية التي تشبه في تشكيلاتها أعمال الهواة أن تعلن تحريرها للرقعة في ذلك اليوم بعد عدة معارك في بعض النقاط؟! وتسيطر على مقر المحافظة، وقصر المحافظ، وتقوم باعتقال المحافظ مع أمين فرع حزب البعث دون أية مقاومة تذكر؟! على الأقل إذا أخذنا بعين الاعتبار أن القوة العسكرية للنظام في المدينة لا يستهان بها إذا نظرنا إلى الفرقة 17 على أطراف المدينة، ومطار الطبقة العسكري القريب أيضاً، والهجانة، والشرطة، ومجموع الفروع الأمنية، إضافة إلى الميليشيات البعثية كبيرة العدد في الريف والمدينة.

### وقائع اليوم الأول لبدء المعركة سارت على النحو التالي

الساعة الخامسة صباحاً يوم 2013/3/2 بدأت الاشتباكات العنيفة في الطرف الشمالي الغربي من المدينة عند كتيبة الهجانة، وحاجز الفروسية، ومباني الضباط.

تألفت القوة العسكرية المهاجمة من: (حركة أحرار الشام) و (لواء أمناء الرقة)، حيث أطلقت حركة أحرار الشام على هذه المعركة تسمية: «غارة الجبار».

القوى العسكرية المؤازرة الأخرى تألفت من: (كتائب حذيفة بن اليمان) و (جبهة النصر) و (جبهة الوحدة والتحرير) و (لواء ثوار الرقة).

الساعة الواحدة ظهراً تمت السيطرة على: الهجانة ، مباني الضباط ، حاجز الفروسية وصولاً إلى صوامع الحبوب، وهي الخط الفاصل بين الفرقة 17 ومدينة الرقة.

في هذه الساعة لم يعد هناك وجود لقوات النظام داخل شوارع المدينة. أول من دخل قصر المحافظ هم كتائب حذيفة بن اليمان، ثم تبعتهم جبهة النصر التي قامت باعتقال المحافظ، وأمين فرع حزب البعث، ثم تلاهم لواء الوحدة والتحرير الذي يقوده الدكتور سامر المطيران، والدكتور عدنان العرسان.

بعد يومين سقطت آخر قوة عسكرية للنظام ممثلة بمفرزة الأمن العسكري، حيث تم تحرير المعتقلين فيها.

بتصرف من مدونة نشرت على موقع الجزيرة نت بتاريخ 2016/9/1 للطبيب والناشط الإعلامي من الرقة عبيدة المشرف بعنوان: (عيون الليل وتراب هذه الأرض).

ونقلًا عن شاهد عيان أتخفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية.

بهذا السيناريو تم الإعلان عن تحرير الرقة.

عاش أهل الرقة وهم التحرير والانتصار، وفرحوا برؤية علم الثورة السورية يرفرف في كل الشوارع والساحات العامة للمدينة، وأطلقوا عليها لقب: الرقة عاصمة التحرير، كونها أول محافظة سورية تخرج بالكامل من تحت سيطرة النظام، مع ملاحظة بقاء وجود الفرقة السابعة عشرة للنظام في مواقعها المحاصرة، ومطار الطبقة العسكري يقوم بالغازات الجوية اليومية على المدينة. قامت التشكيلات العسكرية الإسلامية المسلحة التي سيطرت على المدينة أولاً بأعمال النهب بصورة سريعة ومنظمة حين بدأ أحرار الشام أولاً بإفراغ البنوك السورية العامة والخاصة في المدينة أمام مرأى الجميع، وقامت باقي الفصائل بسرقة كل ممتلكات الدوائر العامة من آليات بأنواعها، وتجهيزات مختلفة، لم يوفروا شيئاً ذا قيمة مادية دون أن يعتبروه غنائم حربية، وظهرت نغمة جديدة في المدينة تعرف بالتكبير، وهي العملية التي يقوم بها المسلحون بالاستيلاء على أي شيء بيت أو سيارة وما شابه.

يجب التفريق هنا بين نوعين من الاستيلاء على الممتلكات العامة والخاصة التي قام بها المسلحون في الرقة، فالعمليات الكبرى قاموا بها كتنظيمات مثل سرقة البنوك من قبل أحرار الشام على سبيل المثال، أما السرقات الصغيرة كالبيوت والمحلات والسيارات فكان يقوم بها الأفراد المسلحون بصفتهم الفردية وطبعاً بحماية ومباركة تنظيماً منهم الأم.

في الحالة الثانية فقط حالة اللصوص الصغار كانت عملية السرقة والاستيلاء القوة تتم تحت تسمية التكبير، وهي لا تتطلب أكثر من أن يقوم المسلح

برفع يده فوق السيارة التي اختارها هدفاً له، أو البيت، أو المحل، ويطلق عليها ثلاث مرات عبارة الله أكبر، فتصبح بنظره، ونظر تنظيمه حلالاً له، والشواهد لا حصر لها يعرفها كل من شهد تلك الأحداث في وقتها.

بهذه الطريقة تمت استباحة المدينة، ولكن دون أن تتم السيطرة الكاملة لفريق واحد دون سواه من الفصائل العسكرية، سواء التشكيلات الصغيرة للجيش الحر، أو أحرار الشام، أو جبهة النصرة، أو ما صار يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام.

حتى هذه المرحلة كانت التيارات المدنية والعلمانية الرقابية ما تزال تنشط وتنتظر من المعارضة السياسية السورية أن تقوم بالمجيء إلى الرقة وأخذ زمام الأمور وإعلان حكومة مؤقتة فوق أول أرض سورية محررة من سلطة البعث، غير أن هذا لم يحدث أبداً.

بعد ثلاثة أشهر على هذا التاريخ قمت بزيارة الرقة بمهمة صحفية لرصد واقع الحال هناك، حيث أتيح لي رؤية كل شيء كما هو على أرض الواقع، ستة أيام كاملة لم يتوقف فيها طيران الحكومة السورية عن الغارات على المدينة، وكانت الحياة ما تزال متفائلة وأعلام الثورة ترتفع إلى جانب أعلام القاعدة، وتنظيم الدولة الذي لم يكن قد أطلق عليه تسمية داعش بعد، ولكنني رأيت الخطر القادم من هؤلاء الملتهمين المسلحين الذين يجوبون شوارع المدينة ويحاولون إرهاب المواطنين.

بدعوة من تيار ربيع الرقة، عقدت بتاريخ يوم الاثنين 2013/6/10 الساعة الثامنة والنصف مساءً أقيمت محاضرة بعنوان: الثورة السورية المسارات والمآلات، وذلك على مدرج ثانوية خديجة الكبرى سابقاً - تجمع أحفاد الرشيد - دوار الساعة.

أكدت في هذه الندوة على أهل المدينة أن يطلبوا من الائتلاف الوطني السوري القدوم إلى الرقة لتشكيل حكومته، وإلا فإن عليهم الخروج إلى الشوارع كي يطالبوا بإسقاطه.

رأيت بأم عيني كيف تتم المبايعات بين التشكيلات العسكرية الصغيرة

الفقيرة، والقوى الأكبر مثل النصر، وتنظيم الدولة الإسلامية وأحرار الشام، وكانت المبايعات تتم أولاً عن طريق الإغراءات المادية، وإن لم تنجح كانت القوة هي الوسيلة الوحيدة المتبعة في فرض ذلك.

قمت بالعودة سريعاً بعد هذه الصورة المرعبة خوفاً من الاختطاف، ذلك أن رئيس المجلس المحلي لمحافظة الرقة المحامي والناشط المدني المعروف عبد الله الخليل كان قد اختطف قبل شهر دون أن يعرف أحد شيئاً عن مصيره. صدقت توقعاتي وهو اجسي الأمنية بعد خروجي حين بدأت حملة الاعتقالات التي تنفذها تلك القوى المسيطرة ضد كل النشطاء المدنيين في المدينة، دون أن تراعي قيمة لأي شخص كان، حين بدأت باختطاف الأب بولو داليلو، وبعده الدكتور إسماعيل الحامض، وفراس الحاج صالح والقائمة تطول، الأمر الذي أدى إلى موجة هروب للنشطاء المدنيين وإفراغ الساحة لهؤلاء الذين وصلوا من كل أنحاء العالم لإقامة الخلافة الإسلامية في الرقة بعد سلسلة كبيرة من المعارك التي شهدتها الرقة بين ما يعرف بأخوة المنهج من جبهة النصر وأحرار الشام وتنظيم الدولة الإسلامية.

بدأت جبهة النصر بمجزرة كبرى بقتل أكثر من مائة عنصر من حركة أحرار الشام حتى استطاعت طردها من المدينة ومبايعة من تبقى من عناصرها لصالحها، ثم وصل الأمر ذاته إلى الاصطدام بين النصر وداعش، حيث انتصرت داعش على النصر بعد قتل أميرها على طريق مسكنة الرقة، وقام أفراد النصر بمبايعتها، وهنا سيطرت داعش على كل تفاصيل الحياة بالرقة، ومن أجل تثبيت هيبتها قامت بالعديد من المذابح الجماعية لمواطنين من الرقة. استطاع تنظيم الدولة الإسلامية استثمار الوضع داخل الرقة بالطريقة التي حققت له بسط سيطرته الكاملة، ففي الوقت الذي كان فيه الثوريون الحالمون بالحريّة ينشطون في الميادين، كان تنظيم الدولة الإسلامية يراقب، ويعتقل، ويعذب، ويهدد، وفي الوقت الذي انشغلت فيه كتائب الجيش الحر الضعيفة أساساً بحصار الفرقة 17، وبعد الخلافات الحادة بين المجلسين المحليين في الرقة التي أدت إلى اتباعها بحملة اعتقالات طالت رئيس المجلس



المحلي المحسوب على الائتلاف المعارض عبد الله الخليل ثم فراس الحاج صالح، وإبراهيم الغازي، قام تنظيم الدولة أيضاً بفرض الضرائب والحجاب، والفصل بين الجنسين في المدارس تحت طائلة إغلاق المدارس المخالفة واتهام أصحابها بالكفر.

بتاريخ 2013/10/17 دعا تنظيم الدولة الفعاليات المدنية والشيوخ الى اجتماع في مقهى Négative حضره 300 شخص من الناشطين إضافة إلى ممثلي الدولة الإسلامية، وقد شهد هذا الاجتماع توتراً وتحدياً في طرح الأسئلة ضد تنظيم الدولة الإسلامية ومواجهتها بالعديد من الجرائم التي ارتكبتها أفراد منهم، وبرز في هذه المواجهة الناشط حازم الحسين الذي اغتيل في نفس الليلة، ومهند حباينا الذي اغتيل في سيارته بعد يومين. بعد هذه السلسلة من الأحداث المتراكمة، استطاع تنظيم الدولة أن يقصي من طريقه أية قوى معارضة لنهجه في السيطرة.

## • الرقة والتحرير القادم

لا شيء أكثر أهمية اليوم عند أهالي الرقة المحتلة يوازي حلم التحرير، واستعادة الحرية التي حلموا بها طويلاً وناضلوا من أجلها، وهناك توقُّ شديد لعودة الحياة في الرقة إلى سابق عهدها حيث المودة والتسامح والانفتاح والعيش المشترك مع كل مكونات الشعب السوري، وليس مهماً بالدرجة الأولى عندهم شكل الحكم في المرحلة القادمة، لأنهم حين شاركوا في الثورة السورية ضد نظام البعث والأسد كانوا ينطلقون من إيمانهم بأنهم جزء من هذه الجمهورية السورية، وبالتالي لم يكن وارداً في حسابات أيٍّ منهم التفكير بالتقسيم تحت أي مسمى كان، وإذا كان لهم من رأي وإرادة فهم مع بقاء الرقة ضمن الجمهورية السورية الواحدة فقط، أما إذا كان الأمر لم يعد بيد أحد منهم وأن التقسيم قادم لا ريب فيه نتيجة إرادة القوى الدولية الكبرى التي تقرر مصير سوريا ومستقبلها بعيداً عن إرادة شعبها، فهذا أمر آخر. وبخصوص النظر إلى

إمكانية قيام كيانات سياسية جديدة فإن الرقة لا يمكن لها أن تخلع عنها ثوبها العربي تحت أية ظروف ومستجدات، وليس من مصلحة أحد اللعب على التاريخ وتزوير حقائقه، فالرقة عربية بأهلها وتاريخها وحضارتها، ومن المعيب والمستهجن أن يقال شيئاً غير ذلك.

الرقة عربية كانت وستبقى وغنية بتنوعها ونمط العيش المنفتح الذي يميز أهلها، ويعرف هذا كل من عرف الرقة.

يأمل أهل الرقة أن تكون لهم يد في أية معارك قادمة لتحريرها من محتليها، وهم يمدون أيديهم لكل القوى الوطنية والديمقراطية التي تسعى للخلاص وبناء مستقبل سوريا الحرة الجديدة التي دفعت من أرواح أبنائها كل هذه التضحيات بين شهيد وجريح ومعاق ومعتقل ومهجر داخل وخارج الوطن.

غير أنهم وعلى اختلاف توجهاتهم السياسية والفكرية يرفضون مجرد الحديث في أية صيغة لمستقبل الرقة بمعزل عن وجودها داخل حدود الجمهورية السورية، بما في ذلك الفيدرالية أو الكونفدرالية.

